أَثَرُ نَحْوِ النَّصِّ فِي تَطْوِيرِ نَحْوِ الجُمْلَةِ

إعـداد

دكتور/ نبيل (محمد هشام) عبد الشكور حريز

مُحَرِّرٌ لُغَوِيّ- مَجْمَعِ اللغة العربية الأردني

١٤٤٥ هـ- ٢٠٢٤م

ض

أَثَرُ نحْو النّصّ في تطوير نحْو الجُمْلة

نبيل (محمد هشام) عبد الشكور حريز
قسم: اللغويات – مُحَرِّرٌ لُغَوِيّ- مَجْمَع اللغة العربية الأردني.
البريد الإلكتروني:
nabeelihraiz@gmail.com

الملخص:

يسعىٰ هذا البحثُ الموسوم بـ(أثرُ نحو النص في تطوير نحو الجملة)، بالوصف والتّحليل والنقد، إلىٰ بيان أثر نحو النص في تطوير نحو الجملة، بالجمع بين الاعتبارات اللّفظيّة والتّركيبيّة والمعنويّة والمقاميّة في تناول مسائل نحو الجملة وقضاياه وإخراجها من حدود الصنعة النحوية الضيقة.

وقد بدأ البحثُ بمقدّمةٍ وانتظمَ في مبحثَين سُبِقا بتمهيد وأُتبعا بخاتمة: عَرَّجَ التمهيد علىٰ مفهوم النّصّ عند أبرز المدارس اللسانيّة الغربية: البنيويّة والسّيميائيّة والاجتماعية والنّصّية، مع الإشارة إلىٰ أشهر النّقّاد والأصوليين العرب القدماء. وتناول المبحث الأول مفهوم نحو النّصّ وأبرز مهمّاته وعلاقته بنحو الجملة. وبيّن المبحثُ الثاني أثرَ نحو النص في تطوير مسائل نحو الجملة من خلال عرض وتحليل مسائل محدّدة ممثِّلة، وهي: مسألة الابتداء بالنكرة التي تمثل الجملة الاسمية والمرفوعات، ومسألة إعراب المفعول لأجله والحال التي تمثل الجملة الفعلية والمنصوبات، ومسألة اقتران (أنْ) بخبر أفعال المقاربة التي تمثل الأدوات.

وأَوجزَتِ الخاتمةُ أبرز نتائج البحث، وأهمُّها أنّ نحو النصِّ ليس نظريةً ناقضةً لنحو الجملة ولا بديلةً عنه، بل ناقدةٌ ومُكمِلةٌ ومُطوِّرةٌ، ويمكن بتوظيف أدوات نحو النص تطويرُ وتوسيعُ دائرة النظر في نحو الجملة.

الكلمات المفتاحية:

النّصّ- نحو الجملة- نحو النص.

The Influence of Text Grammar on the Development of the Structure of the Sentence

Nabil (Mohamed Hisham) Abdul Shakour Hariz Department: Linguistics - Linguistic Editor - Jordanian Arabic Language Academy.

Email: nabeelihraiz@gmail.com

Abstract

This paper attempts, through description, analysis, and criticism, to explain the influence of text grammar on the development of sentence structure by dealing with the verbal, semantic, and structural aspects, and by expanding the perspective beyond the limited grammatical considerations.

The paper begins with an introduction and proceeds to discuss two problems and ends with a conclusion. The introduction discusses the concept of the text as discussed by Western structuralist, semantic, sociological, and textual scholars, along with the most authoritative early Arab scholars. The first problem has to do with the concept of the text and its connection with the sentence structure. The second problem discusses the influence of text grammar in developing issues related to the sentence structure by discussing specific points illustrated by problems like the question of beginning with the indefinite noun, which represents the noun-based sentence, and then moving on to those words which are in the indicative case, and the

question of nouns in the subjunctive case, which represents the verb-based sentence .

The conclusion summarizes the findings, the most important of which is that the text grammar is not antithetical to the sentence grammar and not a substitute for it. It is rather complementary and more advanced. By using the means available, we can expand the perspective of the grammar of the sentence.

***Keywords**: Text, Structure of the Sentence, Text Grammar.*

المقدِّمة

الحمدُ لله، والصّلاةُ والسّلامُ علىٰ رسوله محمّدٍ. وبعد،

أفرزَ تطوّرُ الدّرسِ اللّغويِّ الحديث وانفتاحُه علىٰ رؤًىٰ فكريةٍ رحبةٍ أنظارًا نصيةً تَصْدُرُ في تحليلها للخطاب من النّصِّ بوصفه نظامًا كلّيًّا وحدويًّا اتّصاليًّا، جامعةً الألفاظَ والتّراكيبَ اللّغويّةَ بالاعتبارات المعنويّة والسّياقيّة المتعدّدة وظروفِ إنتاجِ النّصّ والتّلقّي، فتجاوزتْ بذلك النّظرَ اللّغويَّ التّقليديَّ الموروث المقتصر علىٰ الجملةِ بوصفها أكبرَ وحدة لغويّة، وقد أُطلق علىٰ هذا التوجه (نحوُ النص) الذي تَمَخّضَ عند الغرب من التّطوّرات النّقديّة لمفهوم (النّصّ) في المدارس اللّغويّة الغربيّة المعاصرة كالبنيويّة والسّيميائيّة وغيرهما.

مشكلة البحث وأهميته وسؤاله الرئيس

ويمكنُ الإفادةُ من تلك الأنظار المشار إليها سالفًا في تطوير قضايا ومسائلِ نحو الجملة بتوسيع دائرة النظر فيها خارج حدود نحو الجملة. وعليه، فإنّ سؤال البحث الرئيس هو: كيف يمكن أن نفيد من نحو النص في تطوير نحو الجملة دراسةً وتدريسًا؟ فقد تبيّن أنّ نحو النصِّ ليس نظريةً ناقضةً لنحو الجملة بل ناقدةٌ وكاشفةٌ ومطوِّرة. وهو ما دفعَ الباحثَ لإخراج هذا البحث تحت عنوان (أثرُ نحو النّصّ في تطوير نحو الجملة) لبيان أثرِ تلك الأنظار في تطوير نحو الجملة وإخراجه من جموده المتوهَّم الذي صرف كثيرًا من الناس عنه. علمًا أنّ هذا البحثَ -في الأصل- مستلٌّ من أطروحة الباحث للدكتوراة، الموسومة بـ(نظريةُ نحْو النّص: خُطبُ عمر بن عبد العزيز ووصاياه ورسائله للولاة أنموذجًا)، التي نوقشتْ في الجامعة الأردنية بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠٢١م، بإشراف أ.د. علي خَلَف الهروط.

طريقة البحث وأدواته ومباحثه

وقبلَ بيان أثر نحو النص في تطوير نحو الجملة، يحسن بيانُ مفهوم نحو النص ومهماته، وهذا يُلزِم ببيان مفهوم النصِّ أولاً، فمصطلحُ (نحوُ النصِّ) تركيبٌ إضافيٌّ علىٰ إضافةِ الصفة إلىٰ موصوفها بتقديرِ (النحوُ النّصيُّ)؛ فنحوُ النص هو النحوُ الذي يتخذ من النصِّ مجالاً حيويًّا يجول فيه ويصول. في مقابل (نحو الجملة) الذي يتخذ من الجملة مجالاً. ولذا، انتظمَ هذا البحثُ في مبحثين مسبوقين بتمهيد ومتبوعين بخاتمةٍ لأبرز النتائج، علىٰ النحو الآتي:

- **عرّجَ التمهيد** علىٰ مفهوم النّصّ وتطوّره في أبرز المدارس اللسانية الغربيّة كالبنيويّة والسّيميائيّة والاجتماعيّة، مع إشارةٍ موجزة إلىٰ بعض أعلام العربِ القدماءِ الأصوليّين والأدباء والنّقّاد، إظهارًا للنّظر اللّسانيّ المتقدّم في تراثنا العربيّ عن هذا المفهوم، ودفعًا لدعوىٰ عدم معرفتهم به، وتعميقًا لفهم هذا المصطلح الذي يترتّب علىٰ بيانه بيانُ مصطلح (نحو النّصّ).

- **وبيّنَ المبحثُ الأول** مصطلح (نحو النّصّ) من حيث نشأتُه وسيرورتُه من نحو الجملة إلىٰ نحو النّصّ، وأبرزُ مهماته وعلاقتُه بنحو الجملة: أهي علاقة نقضٍ وإلغاءٍ أم علاقة تكاملٍ وتأثّر وتأثير؟

- **وخُصِّصَ المبحث الثاني** لبيان أثر توظيف أدوات نحو النص في تطوير مسائل وقضايا نحو الجملة. ولمّا كان تناولُ ذلك (استقصاءً لا يبقي ولا يذر) أمرًا لا يسعه هذا البحثُ، اقتصر الباحثُ علىٰ عرض وتحليل مسائل محدّدة ممثِّلة، وهي: مسألة الابتداء بالنكرة التي تمثل الجملة الاسمية والمرفوعات، ومسألةُ إعراب المفعول لأجله والحال التي تمثل الجملةَ الفعلية والمنصوبات، ومسألةُ اقتران (أنْ) بخبر أفعال المقاربة التي تمثل الأدوات.

الدراسات السابقة

تناولتْ بحوثٌ ودراساتٌ ومؤلفاتٌ كثيرةٌ موضوعَ العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص من حيثُ تاريخ تطور الدرس النحوي من نحو الجملة إلىٰ النص، ومن حيثُ إثبات وجود الأنظار النصية في النحو القديم ودفع تهمة اقتصاره علىٰ حدود الجملة. ومن أبرز ذلك:

- بحثُ (**العربيةُ من نحو الجملة إلى نحو النص**) لسعد مصلوح، نُشر في الكتاب التذكاري الذي أصدرتْه جامعةُ الكويت سنة ١٩٩٠م عن الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله رحمةً واسعة، تحت عنوان "عبد السلام هارون معلمًا ومؤلفًا ومحققًا". وهو مدخلٌ تنظيريٌّ عن تاريخ نحو النص وماهيته ومعايير النصية، ودعا فيه إلىٰ ضرورة الإفادة من نحو النص والدرس اللغوي المعاصر، وأن النحو التقليدي قد آذن بأفول وعلينا تجاوز "قُلْ ولا تقل" والصوابِ والخطأ إلىٰ رحاب النص الأوسع.

- بحثُ (**مِنْ نحو الجملة إلى نحو النص**) للطيب قواوة، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي التبسي، تبسة، مج (٢)، ع (٧)، ٢٠١٨م. تحدّث عن مفهوم الجملة عند نحويي العربية وعلماء الغرب تعدّدًا وتطورًا، وأنواعها، وسيرورة الدرس اللغوي المعاصر من نحو الجملة نحو اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، ومفهوم النص لغةً واصطلاحًا، تعدّدًا وتطورًا عند الغرب والعرب، ومعايير النصية، ومفهوم نحو النص وموضوعاته ومهامه.

- بحثُ (**النحوُ العربي بين نحو الجملة ونحو النص: مثلٌ من كتاب سيبويه**) ليوسف عليان، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج (٧)، ع (١)، ٢٠١١م. هدفَ إلىٰ إثبات أنَّ النحوَ العربي لم يقتصر علىٰ حدود الجملة وقوانين

الصنعة النحوية ولم يغفل أنظار نحو النص؛ بعرض وتحليل المسائل الآتية في كتاب سيبويه لمعرفة مدىٰ ملامسته للتحليل اللغوي النصي الحديث: (١) اللسانيات النصية (النشأة والمفهوم). و(٢) تداخل مصطلحات الجملة والنص والخطاب. و(٣) سيبويه ومعايير ضبط النصوص عند المحدثين. و(٤) سيبويه بين المعيارية والتداولية. و(٥) نحو النص والشذوذ اللغوي. فحديثُ سيبويه عن علاقات الإسناد والتبعية والحذف والإحالة وقصد المتكلم في توجيهه حركات الإعراب للشواهد وإشاراته التداولية وعنايته بالجانب الوظيفي من اللغة -مثلاً- يقارب إلىٰ حد كبير التماسك والانسجام وغيرهما من أنظار نحو النص.

ولم يجد الباحثُ -حسب اطلاعه- دراسةً تناولتْ كيفية الإفادة من نحو النص في تطوير نحو الجملة تناولاً مباشرًا، الأمرُ الذي يحتاجه الدرس النحوي حاجةً ملحةً في زمنٍ تنكّرَ ونفرَ عنه كثيرٌ تحت ذريعة جموده وتوهّم صعوبته! وهو ما ميّز هذا البحثَ.

أهمّ المصادر والمراجع

ولمّا كان نحوُ النص يقوم علىٰ الجمع بين العناصر اللّفظيّة والتّركيبيّة والمقاميّة وأحوالِ مُنْتِجِ النّصّ ومقاصده ومتلقّيه في تحليله للنصوص؛ حرصَ الباحثُ علىٰ أن تكون مصادرُه ومراجعُه شاملةً هذه المعطيات كلها، متنوّعةً، عربيّةً وغربيّة، قديمةً وحديثة. ومن أهمّها: كتابُ (التّفاعل النّصّيّ التّناصّ: النّظريّة والمنهج) لنهلة الأحمد، و(علم لغة النص) لسعيد البحيري، و(تحليل الخطاب) لبراون ويول، و(اللّغة والمعنىٰ والسّياق) للاينز جون، و(الكتاب) لسيبويه، و(تفسيرَا) الرازي والشعراوي رحمهما الله، وكتاب المؤتمرِ السّنويّ لعام ٢٠٢٠م لمجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ المعنونِ بـــ(قضايا النّحو العربيّ بين الثّوابت وضرورات التّجديد)؛ ولا سيما بحث (بين منهجين في النّحو) لجعفر عبابنة.

والله وليّ التّوفيق

التمهيد

مفهومُ النّصّ وتطوراته في المدارس اللسانية الحديثة

تُحيلُ كلمةُ (نصٌّ/ **Text**) لغةً في الثّقافة الغربيّة علىٰ النّسيج(١). وهي دلالةٌ مادّيّةٌ من حقل الصّناعات والحِرَف تُحيلُ الأذهان إلىٰ أدواتٍ مِهنِيّةٍ كالمِنوال وعمليّاتٍ مثل الحياكة المتشابكة المتداخلة(٢). وعليهِ فالنصُّ هو "السّطحُ الظّاهريّ للنّتاج الأدبيّ، نسيجُ الكلماتِ المنظومةِ في التّأليف، والمنسّقةِ بحيثُ تفرض شكلاً ثابتًا ووحيدًا ما استطاعت إلىٰ ذلك سبيلاً"(٣). ثمّ تطوّرتْ دلالةُ النصّ فصار: وحْدَة لغويّة في حالة استعمال(٤).

---

(١) ينظر: البعلبكي، رمزي منير، المورد الحديث قاموس إنكليزي- عربي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، مادّة (Text)، ص١٢١٧. وإدريس، سهيل، وعبد النّور، جبّور، المنهل قاموس فرنسي- عربي، مادّة (Texte)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٨٣م، ص١١١٦. وينظر كذلك: ثامر، فاضل، اللّغة الثّانية في إشكاليّة المنهج والنّظريّة والمصطلح في الخطاب النّقديّ العربيّ الحديث، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص٧١.

(٢)ينظر: الأحمد، نهلة: التّفاعل النّصّيّ التّناصّ النّظريّة والمنهج، كتاب الرّياض، ع (١٠٤)، مؤسّسة اليمامة الصّحفيّة، يوليو ٢٠٠٢م، ص٢٦.

(٣) البقاعي، محمد خير، دراسات في النّصّ والتّناصّيّة (ترجمة وتعليق)، مركز الإنماء الحضاريّ، حلب، ط١، ١٩٩٨، ص٢٦. وقد نقله عن مقال رولان بارت الموسوم بـ"نظريّة النّصّ"، مِنْ مج (١٥) من الموسوعة العالميّة باللّغة الفرنسيّة.

(٤) ينظر: يقطين، سعيد، انفتاح النّصّ الرّوائيّ النّصّ والسّياق، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، الدّار البيضاء، ط١، ١٩٨٩، ص١٦. نقلاً من كتاب "الانسجام" لهاليداي ورقيّة حسن. وينظر كذلك: العبد، محمّد، النّصّ والخطاب والاتّصال، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، ط١، ٢٠٠٥م، ص١١٥.

وتعددت اجتهاداتُ الباحثينَ الغربيّين من اللّغويّين والفلاسفة، التي تَحُدّ النّصّ بخصائصَ تَسِمُه عن غيره من ضروب التّعبير.. وبتتبُّع العديد من الرّؤىٰ الغربيّة التي تدور غالبيّتُها حول السّمات المذكورة آنفًا لدلالة النّص اصطلاحيًّا؛ فالنّصُّ سلسلةٌ من الملفوظات اللّسانيّة -مكتوبةً أو منطوقة- التي تتركّب لتكوين مجموعٍ هو النّصُّ المتّصفُ بخصائصَ صوتيّةٍ ونحويّة، ويتميّز باحتوائه علىٰ وحداتٍ نصّيّةٍ ذات علائقَ مترابطةٍ ولها دلالةٌ واضحة، ويمكن الاعتمادُ -لتحليلها- علىٰ غيْرِ ضرْبٍ من ضروب التّحليل، كالتّحليل البلاغيّ وغيره.

وقد دَخَلَ النّصُّ بهذه السّمات السالفةِ حقولَ المدارس اللّسانيّة الغربيّة، فانطلقتْ بناءً عليها في رؤاها عن النّصّ[(١)]، فبَرزتِ اتّجاهاتٌ مستقلّةٌ مِن أشهرها الشّكلانيّة والبنيويّة والسّيميائيّة والتّفكيكيّة وغيرها. وفيما يلي تعريج علىٰ ذلك بدءًا من رؤىٰ دي سوسير الذي أسّس لما بعده من الاتّجاهات:

انطلقتْ نظرة دي سوسير للّغة -النّصّ[(٢)]- علىٰ أنها نظام في الذّهن أو ملَكَةٌ كامنة: "نظامٌ من الإشارات المتميّزة يرتبط بأفكار متميّزة"[(٣)]؛ نظامٌ قائمٌ يضمّ قواعدَ وقوانينَ تهيّئ لممارسة فعل القول والإدراك. ولغاية دراسة اللّغة يُراعىٰ كونُها نظامًا

(١) ينظر: الأحمد، نهلة، التّفاعل النّصّيّ، ص٣٠.

(٢) والنَّصُّ يُعدُّ لغةً لأنّه يُحيل إلىٰ لغة. فالحديثُ عن رؤية دي سوسير عن اللّغة حديثٌ عن رؤيته لمفهوم النّصّ كما ذهب بعض الدّارسين؛ ينظر: ابن ذريل، عدنان، النّصّ والأسلوبيّة بين النّظريّة والتّطبيق، من منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٥.

(٣) دي سوسير، فردينان، علم اللّغة العامّ، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربيّة، بغداد، ١٩٨٥م، ص٢٨.

من العلامات أو الإشارات المُعبّرة عن الأفكار[١]؛ علامات خاضعة إلىٰ سياقٍ يُسعِف في الكشف عن غوامض الأمور وملابساتها. وقيمةُ العنصر تنتج من وجود العناصر الأخرىٰ[٢]. وتُعدُّ البنية اللّغوية بنيةً فكريّة، وعليه فإنّ هدفَ معرفةِ البنية اللّغويّة هو معرفةُ البنية الفكريّة.

وانطلقتِ الشّكلانيّةُ ممّا انتهتْ إليه نظريّاتُ سوسير الألسنيّة، فهي تطبيق للألْسنيّة في الدراسة الأدبيّة، وذلك بعنايتها بالبنىٰ اللّغويّة أكثرَ ممّا يمكن للمرء قولُه فعليًّا[٣]. ومؤدّىٰ هذه النّظريّة أنّ الشّكلَ اللّغويّ (أيْ شكلَ النّصّ) يُعدُّ نظامًا بصرف الطّرف عن الوظائف المرتبطة به؛ فالشّكلانيّون لا يَعدّون الوظيفةَ النّصّيّة طبيعةً لغويّة؛ ولذلك تغاضَوا عن تحليل محتوىٰ النّصّ الأدبيّ، منصرفين إلىٰ دراسة الشّكل الأدبيّ، رافضين فكرةَ أنّ الشّكل بمنزلة تعبير عن المضمون. وما المحتوىٰ عندهم إلّا مُحفِّزٌ للشّكل أو مناسَبةٌ لتحديده، فلا يُفهمُ المضمونُ إلّا من خلال الشّكل فقط (أي: شكلنة المضمون)[٤].

---

(١) ينظر: دي سوسير، فردينان، فصول في علم اللّغة العامّ، نقله إلىٰ العربية: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ١٩٨٥م، ص٤٠.

(٢) ينظر: ذاته، ص١٣٤.

(٣) ينظر: إيغلتون، تيري، نظريّة الأدب، تر: ثائر ذيب، دراسات نقدية عالميّة (٢٩)، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٥م ص١٣.

(٤) ينظر: سنان، جورج، علم اللّغة في القرن العشرين، تر: نجيب غزّاوي، وزارة التّعليم العالي، سوريا، د.ط، د.ت، ص٨٨. وينظر كذلك: حمداوي، جميل، النّظريّة الشّكلانيّة في الأدب والنّقد والفنّ، (د.ت)، (د.ط)، ص١١-١٢.

وقد عُنِيَ الشكلانيّون بتفاعلِ أجزاءِ النّصّ المختلفة بعضِها مع بعض، لتؤدّي وظيفتها من خلال كلّيّة النّصّ(١)، علىٰ أنّ هذه العلاقاتِ تَصدُر من النّصِّ نفسِه لا من حقائقَ خارجَه، وقد يكون بينهما (العلاقات الدّاخليّة والحقائق الخارجيّة) تفاعلٌ أو تقابلٌ أو ارتباطٌ، لكنْ دون السّببيّة. وهذا الاحتفاء بالخارج ليس تناقضًا في النّظريّة، بل هو تطوّرٌ فيها، فقد انتهىٰ بعضُ أصحابها -ومنهم (رومان ياكبسون)- إلىٰ أنّه رَغْمَ استقلال بناءِ النصّ اللّغويِّ فإنّ فصلَه فصلاً كاملاً عن وعيِ الكاتب والثقافةِ وتأثيرِ العوامل الاقتصاديّة والاجتماعيّة غيرُ ممكن(٢).

وقد تلقّتِ البنيويّةُ مبادئ سوسير عن طبيعة اللّغة، وأهمُّها مفهومُ (النّسق) المؤدِّي للنّظر إلىٰ أنّ اللّغة نسقٌ أو نظامٌ كلّيّ، ولا بدّ من تحليل بنائها ثُمّ البحث عن خصائص الأنساق الصّغرىٰ وعلاقاتها بعضِها ببعضٍ ضمن نسق النّظام الكلّيّ(٣).

وإنّ سمة النص الأساسيّة عند البنيويّين هي كونُه بنيةً مغلقةً في مستوييه: النّحويّ، والدّلاليّ؛ فلا علاقةَ ألبتّةَ للنّصّ بصاحبِه أو بواقعه الخارجيّ المجتمعيّ أو السّياسيّ، وكلُّ نصٍّ له خصوصيّته واستقلاله، وفي داخل كلّ نصٍّ علاقاتٌ منظّمةٌ يؤثّر بعضُها

(١) ينظر: بُشبندر، ديفيد، نظريّة الأدب المعاصر وقراءة الشّعر، تر: عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مكتبة الأسرة- القراءة للجميع، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٠٨.

(٢) ينظر: حمّودة، عبد العزيز، المرايا المحدّبة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع (٢٣٢)، ١٩٩٨م، ص١٨٨-١٨٩.

(٣) ينظر: الأحمد، نهلة، التّفاعل النّصّيّ، ص٤٩.

في بعض. والفهمُ البنيوي للنص هو الكاشف -وحده- عن سياقاته النّفسيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة(١).

وقد نُقِدَت البنيوةُ حتّىٰ نُقِضَت(٢). فتحوَّل العديدُ من منظّريها عنها إلىٰ مفاهيمَ ورؤًىٰ رحبةٍ ومنفتحة أكثر، فظهرت السّيميائيّة والتّفكيكيّة والتّناصّيّة...

ترىٰ السّيميائيّة أنّ النّصّ الأدبيّ نظامٌ له مقوّماتُه الخاصّة، علىٰ أنّه ليس معزولاً عن غيره من الأنظمة الأخرىٰ الكامنةِ خارجَه، فالنّصُّ متّسع المعنىٰ، ويتعالق مع الأنظمة الخارجة عنه (الظّروف الخارجيّة ذات الصّلة)(٣).

ويقوم مفهومُ التّفكيكيّة للنّصّ علىٰ أنّ للّغة دورًا حرًّا باعتبارها متواليةً لا نهائيّة من المعاني المختلفة؛ صادرًا من رؤيةٍ فلسفيّةٍ ناقضةٍ لكلِّ ما يُعدُّ جوهرًا أو مركزًا أو أصلاً أو تقليدًا مستقرًّا يُعدُّ أساسًا للتّفكير(٤). فالتّصوّر التّفكيكيّ للنّصّ يتجاوز مدىٰ اللّغة

(١) ينظر: نيوتن، ك.م، نظريّة الأدب في القرن العشرين، تر: عيسىٰ علي العاكوب، عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، أساتس- الهرم، ط١، ١٩٩٦م، ص١٤٣-١٤٤. وبحيري، سعيد، علم لغة النّصّ: المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٧م، ص١٩٢.

(٢) ومن أبرز ذلك اقتصارُها علىٰ البنىٰ اللّغويّة للنّصّ اقتصارًا جعل اللّغة سجنًا وألغىٰ الحقيقة، وهو ما أدىٰ إلىٰ استنطاق اللّغة استنطاقًا مبالغًا فيه لإرغامها علىٰ أن تُفضي بأسرارها، فأتَوا بنتائج نقديّة فظيعة! ينظر: التّفاعل النّصّيّ، ص٥٧-٦٢. وبلعفير، محمّد، البنيويّة النّشأة والمفهوم عرضٌ ونقد، بحثٌ منشور في مجلّة الأندلس للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ع (١٥)، مج (١٦)، ٢٠١٧م، ص٢٤٣-٢٤٤، وص٢٥٨-٢٦١.

(٣) ينظر: التّفاعل النّصّيّ، ص٧٠-٧١. وتشاندلر، دانيال، أسس السّيميائيّة، تر: طلال وهبه، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ص٣٦٩-٣٧٠.

(٤) ينظر: دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء- المغرب، ط٢، ٢٠٠٠م، ص٤٧-٥١. والمرايا المحدّبة، ص٢٥٣-٢٥٥، و٣٠٤. والتّفاعل النّصّيّ، ص٨٠-٨٥.

ويفيض عنه، وإنْ كان النّصّ يُلْفَظُ باللّغة؛ لكنّها اللّغةُ التي تمتاز بالسّيرورة والتّعدّد، إنّه نسيجٌ من الإشارات التي تشير بصورةٍ لا نهائيّة إلىٰ أشياءَ أخرىٰ.. إلىٰ آثارٍ واختلافات(١).

وهذا كله من شأنه أن ينتج قارئًا ذا كفاءة أدبيّة يُمعن إمعانًا عميقًا واعيًا بِبِنىٰ النص السّطحيّةِ والعميقة وفضاءاته، ويقف علىٰ تعالقاته مع غيره من الأنظمة الأخرىٰ، ويتبصّر برموزه وإشاراته وأسراره(٢).

وبناءً علىٰ سبق، انبرىٰ لسانيّو اللّغة الاجتماعيّون إلىٰ دراسةِ اللّغة وتحليلِها في سياقها الاجتماعيّ التّواصليّ مع المحيط الخارجيّ وما يؤثّر في استعمالها من عوامل(٣) وربطوا النّصَّ بالبيئة الاجتماعيّة النّاشئ فيها، فالنّصُّ وفق هذه الرّؤية بنيةٌ دلاليّة أبدعتْها ذاتٌ ضمنَ بنيةٍ نصّيّةٍ ناتجةٍ في ظلّ إطارِ بنيةٍ أوسعَ منها اجتماعيّةٍ وتاريخيّةٍ وثقافيّة(٤)؛ انطلاقًا من أنّ اللّغة سلوكٌ اجتماعيّ، وأنّ التواصليّةَ وظيفتُها الأساسيّة. ولتحليل النّصّ وفق هذا التّوجّه لا بدّ من الوقوف علىٰ: سياق مكانه وزمانه

(١) ينظر: الكتابة والاختلاف، ص١٠٣. والعزري، أحمد، تلقّي التّفكيكيّة في النّقد العربيّ الحداثيّ علي حرب أنموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٢م، ص١٠١-١٠٣.

(٢) ينظر: دوبيازي، مارك، نظريّة التّناصّيّة، تر: الرّحوتي عبد الرّحيم، مجلّة علامات، جدة-السّعوديّة، ١٩٩٦م، ج٢١، مج٦، ص٣١٤. والتّفاعل النّصّيّ، (مرجع سابق) ص٩٥-٩٧.

(٣) ينظر: نهر، هادي، علم اللّغة الاجتماعيّ عند العرب، الجامعة المستنصريّة، ط١، ١٩٨٨م، ص١٨-١٩.

(٤) ينظر: عزّام، محمّد، النّصّ الغائب، ص١٦.

وأجواء إنتاجه وعلاقات الأقوال التي يتضمّنها بمُلْقِيه ومتلقّيه وظروف إلقائه، وغير ذلك ممّا يَربط بنىٰ النّصّ اللّغويّة بسياقها الاجتماعيّ والتّاريخيّ والتّواصليّ[١].

وتجدر الإشارة إلىٰ أنّ للتّراث العربي القديم تصوّراتٍ عن حقيقة النّصّ بوصفه بناءً لغويًّا متكاملاً، لكنْ عُبِّرَ عن ذلك بمصطلحاتٍ أخرىٰ (مثل البيان والنّظم)؛ وتلك التصورات تتوافق مع مفهوم النّصّ الحديث في كثيرٍ من الجوانب، وهذا يدلّ علىٰ أنّ علماءنا العرب القدماء هم المؤسِّسون الحقيقيّون للدّرس النّصّيّ، وأكتفي بالإشارة إلىٰ الجاحظ (ت٢٥٥هـ) والجرجاني (ت٤٧١هـ) والزركشي (ت٧٩٤هـ):

يقول الجاحظ: "والبيانُ اسمٌ جامعٌ لكلّ شيءٍ كشفَ لك قناعَ المعنىٰ وهتكَ الحجابَ دون الضّميرِ حتّىٰ يُفضيَ السّامعُ إلىٰ حقيقته ويَهجمَ علىٰ محصوله؛ كائنًا ما كان ذلك البيان، ومِن أيّ جنسٍ كان الدّليل، لأنّ مدارَ الأمرِ والغايةِ التي إليها يَجري القائلُ والسّامعُ إنّما هو الفهمُ والإفهام؛ فبأيّ شيءٍ بلغتَ الإفهامَ، وأوضحت عن المعنىٰ فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع"[٢].

فالنّصُّ- البيان، عند الجاحظ، لا يقتصر علىٰ الملفوظ اللّغويّ أو النّظام اللّسانيّ، بل يشمل وسائل التّعبير كلَّها كطريقةِ إلقاء النّصّ وتلقّيه وحركاتِ اليدين وإيماءات الوجه[٣]، كما يشمل الرّسمَ والموسيقىٰ والرّموزَ المختلفة والإشارات التّي تتحقّقُ

(١) ينظر: بو فرّة، عبد الكريم، علم اللّغة الاجتماعيّ مدخل نظريّ، ص٨.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، البيان والتّبيين، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م، ج١، ص٧٦.

(٣) وما استطراد الجاحظ في "البيان والتّبيين" في ذكر أحوال الخطباء في إيصال مقاصدهم إلّا برهان جليّ علىٰ إدراكه لذلك.

بها الغايةُ (كشفُ المعنىٰ)، فاللّغة الملفوظة ما هي إلّا وسيلة من وسائل التّعبير وإيصال المعنىٰ، وإن كانت أكثرَها شيوعًا وأهمَّها، وفي هذا مقاربة غير خفية مع السيميائية.

وهذا عبد القاهر الجرجانيّ يشبّه نظمَ الكلام بـ(النّسج) -وهو عينُ ما تحيل إليه كلمة (Text)/ النّصّ، لغةً، في الثّقافة الغربيّة كما ذُكِرَ من قبل!- فقال: "...فهو إذن نظمٌ يُعتبرُ فيه حالُ المنظومِ بعضُه مع بعض، وليس هو النّظم الذي معناه ضمُّ الشّيء إلىٰ الشّيء كيف جاء واتّفق؛ ولذلك كان عندهم نظيرًا للنّسج والتّأليف والصّياغة والبناء والوشي والتّحبير وما أشبه ذلك"(١)؛ فهو يُشبّه بذلك إنشاء النّصّ/ نظم النّصّ، بحرفةِ صناعة النّسيج ليلفت إلىٰ ضرورة إحكامه إحكامًا مترابطًا وجميلاً، بضمِّ الكلمات والجمل بعضِها إلىٰ بعض.

وعلىٰ الصّعيد العمليّ التّطبيقيّ، صَدَرَ باحثو علوم القرآن الكريم ومفسّروه من كلّيّة النّصّ القرآنيّ لا الجملةِ الواحدة في دراستهم القرآنَ الكريم وتفسيره، بصفته نصًّا كلّيًّا جامعًا يتعالق آخره بأوّله في انسجامٍ تامّ، فقد ذكرَ الزّركشيّ: "...والذي يَنبغي في كلّ آيةٍ أنْ يُبحث أوّلَ كلّ شيءٍ عن كونها مُكَمِّلةً لما قبلها أو مستقلّة، ثمّ المستقلّة ما وَجْهُ مناسبتها لما قبلها؛ ففي ذلك عِلْمٌ جَمّ، وهكذا في السُّوَر؛ يُطْلَبُ وَجْهُ اتّصالها بما قبلها وما سيقت له"(٢)؛

---

(١) الجرجانيّ، عبد القاهر (ت٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع- مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م، ص٤٩.

(٢) الزّركشيّ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة- عيسىٰ البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٩٥٧م، ج١، ص٣٧.

ويذكر أيضًا في ترابط القرآن الكريم كلّه مع السّورة الأمّ الجامعة (سورة الفاتحة): "وجميعُ القرآن تفصيلٌ لما أجملتْه الفاتحة، فإنّها بُنيتْ علىٰ إجمال ما يحويه القرآن مفصّلاً، فإنّها واقعة في مطلع التّنزيل"[١]؛ وذلك لأنّها تضمّنت كبرىٰ العقائد الدّينيّة: الرّبوبيّة والألوهيّة، والنّبوّات، والقيامة، والقضاء والقدر، ولذلك سُمِّيَتْ أمَّ القرآن[٢]، فالفاتحة تمثّل نقطة الارتكاز والبؤرة الأساسيّة الجامعة لمعاني النّصّ القرآنيّ كلِّها. وطبّقوا المعاييرَ النّصّيّةً في تفسيرهم سورَ القرآن الكريم؛ كالتّرابطِ، والتّماسكِ الدّلاليّ، والإعلاميّةِ، والقصد، والمقاميّة التي كانوا يسمّونها (أسباب النّزول)، والتّناصّ، تقريرًا لمبدأ (القرآنُ يفسّر بعضُه بعضًا)، الأمرُ الذي يُثبت بجلاء أنّهم وعَوْا مفهوم النّصّ بوصفه نظامًا كلّيًّا جامعًا متماسكًا[٣].

وخلاصةُ القول أنّ جلَّ المدارس اللسانية في نظرها إلىٰ النّصّ راعت الجوانبَ الدّلاليّة والتّداوليّة والوظيفيّة والسّياقيّة والموقفانيّة. وعلينا (كما يرىٰ صلاح فضل)

---

(١) السّيوطيّ، جلال الدّين، أسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر عطا ومرزوق إبراهيم، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ص٥١.

(٢) ينظر: الرّازيّ، فخر الدّين (ت٦٠٦هـ)، تفسير الفخر الرّازيّ، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ج١، ص١٧٩.

(٣) بل ألّف بعضهم كتبًا مستقلّة في هذا الباب، مثل: "نظم الدّرر"، و"تناسق الدّرر في تناسب الآيات والسّور" للبقاعيّ (ت٨٨٥هـ). وما سقتُ النّقول هذه كلّها إلّا لإثبات سبق العرب برؤًىٰ لسانيّةٍ أسّست للدّرس النّصّيّ، فليس صحيحًا الادّعاء أنّهم ما عرفوا النّصّ.

أن نتبنّىٰ مفهومًا للنّصّ من جملة المقولات التي قُدِّمَتْ له في البحوث البنيويّة والسّيميولوجيّة الحديثة، دون الاكتفاء بالتّحديدات اللّغويّة المباشرة(١).

(١) ينظر: فضل، صلاح، مناهج النّقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٦١. وبلاغة الخطاب وعلم النّصّ، (مرجع سابق) ص٢١١.

المبحث الأول: مفهوم نحو النص ومهماته وعلاقته بنحو الجملة

سبق الحديثُ عن مقاربات مفهوم النص فأبانه بوصفه نظامًا كلّيًّا جامعًا. أمّا (نَحْو) فلا تعني هنا المفهومَ الموروث (نحو الجملة) الذي يُعنىٰ بقوانين التّراكيب، بل تتبّع القوانين النّصّيّة التي تجعل النّصَّ نصًّا؛ تلك القوانينُ التي تُستخلَصُ من النّصِّ نفسه بوصفه بنيةً كلّيّةً شاملة. وقد اكتسبت كلمة (نحو) هذه الدّلالة الخاصّة ممّا أضيف إليها (النّصّ).

ومن الطبيعي في ظل رقيّ مفهوم النص أنْ يسأم محلِّلو الخطاب من اعتمادِ الجُملة أساسًا في التّحليل اللّغويّ فاتّجهوا إلىٰ الصّدور عن كلّيّة النّصّ (اللّسانيّات النّصّيّة) وصارت الجملةُ النظامية الشكلية الملتزمة بقواعد اللّغة جملةً نصّيّة؛ تلك الجملةُ المُنْجَزَةُ في مقامٍ تداوليّ، المتضمّنةُ رسالةً ما يَستقبلُها متلقٍّ، أي أنّها تقوم علىٰ الفهم والإفهام، ذات وظيفة تواصليّة[1].

فنحوُ النّصّ نظرٌ لغويّ نقديٌّ يُعنىٰ بدراسة الأبنية النّصّيّة لغويًّا، ووصفها وتحليلها وفهمها، وتحليل المظاهر المتنوّعة لضروب النّصّ التّواصليّة وسياقه ودور المشاركين فيه إنتاجًا وتلقّيًا[2]، بحيث يتجلّىٰ وحدةً واحدةً مترابطة. وهو يفيد من نظريّات علوم البلاغة والأدب والنّقد في تحليله للنّصوص.

(١) ينظر: الزّنّاد، الأزهر، نسيج النّصّ، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص١٤.

(٢) ينظر: عفيفي، أحمد، نحو النّصّ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص٣١-٣٢.

ومن المعلوم أنّ الدّرس اللّغويّ التّقليديّ القديم كان يعتمدُ (الجملةَ) التي تُعرَفُ علىٰ أنّها "فكرةٌ تامّة أو تتابعٌ من عناصر القول ينتهي بسكتة"[١] بوصفها أكبرَ وحدة لغويّة تحليليّة؛ أي أنّها بناءٌ لغويّ مُكتفٍ بذاته، مترابطةٌ عناصرُه ترابطًا مباشرًا أو غيرَ مباشر، تُدرَسُ مستقلّةً عن سياقها، وهي التي تُسمّىٰ (الجملة النّظاميّة)، في مقابل (الجملة النّصّيّة) المنجزة في سياق تواصليّ ضمن سياقٍ نصّيٍّ عامّ[٢].

لكنّ الوقوف عند حدود نحو الجملة في الدّرس والتّحليل معزولةً عن سياقيها المقاليّ والمقاميّ لا يكفي، بل يعجز عن التّأسيس لمعرفةٍ لغويّةٍ قادرةٍ علىٰ فهْم دور اللّغة الحقيقيّ في التّواصل الإنسانيّ بأبعاده المختلفة؛ وهو الهدف الأسمىٰ للدّراسات اللّغويّة؛ وقد أدركوا أيضًا أنّ دراسة اللّغة في ذاتها ولذاتها يجعلها هيكلاً شكليًّا لا غير؛ الأمرُ الذي دفعَهم لتجاوز ذلك فشرعوا يهتمّون بالمعنىٰ والسّياق ضمن كلّيّة النّصّ لكونه أكثرَ وسائل التّواصل وأهمَّها في نقل الأفكار والمفاهيم والمشاعر إلىٰ الآخرين، فالنّصّ هو التّجلّي الأعلىٰ للّغة، وبه يتّم التّواصل لا بالكلمة وحدها ولا بالجملة وحدها[٣]. وفهم الرّسالة اللّغويّة لا يتم بالكلمات والجمل المستعملة في البنية النّظميّة فقط، بل نحتاج إلىٰ مزيدٍ من المعلومات من غير الموجود في الظّاهر اللّغويّ لفهم الرّسالة اللّغويّة وتأويلها؛ تلك المعلومات والمعارف القارّة في ذهن المتلقّي المتعلّقة بالسياق الثّقافيّ العامّ[٤].

---

(١) ديبوجراند، النّصّ والخطاب والإجراء، (مرجع سابق) ص٨٨.

(٢) ينظر: عفيفي، أحمد، نحو النّصّ، ص١٨-١٩.

(٣) ينظر: ديبوجراند، النّصّ والخطاب والإجراء، ص٩٢-٩٤. وناصف، مصطفىٰ، اللّغة والتّفسير والتّواصل، عالم المعرفة (ع١٩٣)، الكويت، ١٩٩٥م، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٤) ينظر: ذاته، ص٢٦٧-٢٦٩.

تَبلْورَ نحو النّصّ نظريّةً بتوجّه الدّرس اللّساني نحو قضايا النّصّ مستفيدًا من المقولات السّابقة من مثل علم اللّغة الوصفيّ والوظيفيّ والتّركيبيّ والتّحويليّ، إلىٰ أن تكاملت رؤيته بدراسة الخواصّ التّركيبيّة والدّلاليّة والاتّصاليّة للنّصّ(١)، وقد قامت نظريّة نحو النّصّ علىٰ أربعة مبادئ أساسيّة: الاستعمال، والتّأثير، والتّفاعل، والاتّصال. وعلىٰ ضوء هذه المبادئ صيغت الرّؤىٰ النّصّيّة العديدة في مفهوم النّصّ وتحليله(٢). ولعلّه، بعدما تقدّم، يُدْرَكُ أنّ نظريّة نحو النّصّ -كما يرىٰ كوزريو (**Coseriu**)- تكاد تكون هي نظريّة علم التّأويل؛ التّفسير، وهو الغاية من بلورة هذا العلم (نحو النّصّ)(٣).

ونحوُ النّصّ -بنظره النّصّيّ المازج بين المستويات اللّغويّة المختلفة- يُوْسَمُ بشموليّة النّظرة، لكونه يعمل في ميدان النّصّ كلّيًّا، وهو الميدانُ الأكثرُ اتّساعًا وشمولاً إذا ما قورن بالبحث البلاغيّ أو الأسلوبيّ مثلاً لأنّه يعتدّ بنماذجَ جزئيّةٍ محدّدة، فلا تتقرّر تحديدًا الدّلالةُ الحقيقيّةُ لكلّ جملةٍ في داخل ما يُسمّىٰ بكلّيّة النّصّ إلّا بمراعاة الدّلالات السّابقة واللّاحقة في تسلسل تتابع الجمل؛ فالنّصُّ مهما صَغُرَ حجمُه وحدةٌ كلّيّةٌ مترابطةُ الأجزاء(٤).

فالخطابُ ممارسةٌ فكريّةٌ معقّدة، اجتماعيّةٌ تفاعليّةٌ أوّلاً، تجعل المقامَ بنيةً أولىٰ مصدَّرةً موجِّهةً دلالةَ النّصّ الكلّيّة، لغويّةٌ ثانيًا، تتّصلُ بموضوعٍ ما، تتجاوز

(١) ينظر: الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ص٧٧. وفضل، مناهج النّقد المعاصر، ص١٦١.

(٢) ينظر: اتجاهات لغويّة معاصرة، ص١٤٨.

(٣) ينظر: بحيري، علم لغة النّصّ، ص٣٣.

(٤) ينظر: ذاته، ص٦٠ و١٣٩.

المستويات اللّغويّة والجماليّة، فتتضمّن طلباتٍ ورؤًى مضمرةً أضمرها المخاطِبُ وهي تمثّل وجهة نظره عن الواقع بمختلف أبعاده السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والنّفسيّة، فهو –أي الخطاب– تعبيرٌ لغويّ عن العالم، فيكون تحليله –وفق هذه الرّؤية– ضمن أفقين: النّصّ، وعناصر البنية الاجتماعيّة(١)، بمقولاتٍ منطقيّةٍ تتجاوز معطياتِه اللّسانيّةَ إلىٰ نسق إنتاجه العامّ الدّالّ.

يستهدف نحوُ النّصّ، بالوصف والتّحليل، أبنيةَ النّصّ ومستوياتِه العديدة (الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة) واصفًا ظّواهرَ كلّ مستوًىٰ ومحلِّلَها، راصدًا علاقاتِها الدّاخليّةَ والخارجيّة، مع بيان أثرها علىٰ المتلقّين بمختلف أنواعهم ومستوياتهم، كما يبحث في كيفيّة استعمال اللّغة تواصليًّا وأشكال هذا التّواصل وكيفيّة قيام النّصّ بوظائفه(٢).

والمهمّةُ الأساسيّة لنحو النّصّ هي وصفُ النّصوص وتحليلها، بعدِّ النّصِّ بنيةً دلاليّةً كلّيّةً موحّدةً متكاملةً موضوعةً في سياقٍ ما؛ أي وَصْفُ الظّواهر النّصّيّة المختلفة، مثل: علاقات التّماسك النّحويّ النّصّيّ، وأبنية التّطابق والتّقابل والتّراكيب المحوريّة والمجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسّرة، والتّحويل إلىٰ الضّمير، والتّنويعات التّركيبيّة وتوزيعاتها داخل النّصّ...وغير ذلك من الظّواهر التّركيبيّة التي تتجاوز حدود الجملة المفردة ولا تُفسَّر بدقّة إلّا باعتبار الوحدة الكلّيّة للنّصّ، مع

(١) ينظر: الحاجّ، عبد الرّحمن، الخطاب السّياسيّ في القرآن السّلطة والجماعة ومنظومة القيم، الشّبكة العربيّة للأبحاث والنّشر، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٢-٢٤.

(٢) ينظر: فان دايك، تون، علم النّصّ مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط١، ٢٠٠١م. ص٢١٣. وأبو زنيد، نحو النّصّ، ص٢٨.

ضرورة الوعي بسياق النّصّ وظروفه وفضاءاته وأبعاده الفكريّة وتعالق معانيه القبليّة والبعديّة وظروف متلقّيه وثقافتهم(١).

ويُدرك مُمعِنُ النظر في نحو النّصّ أنه لا يُلزِم بإلغاء أو إقصاء التّراثِ النّحويّ القديم بشأن نحو الجملة، فهو ليس نظريّةً مضادّةً أو ناقضةً، فالعلاقة بينهما علاقة تكاملٍ وتأثّرٍ وتأثير؛ فالتّراثُ النّحويُّ -بما قدّمه من المفاهيم والقواعد والنّظريّات- هو المنطلقُ الأساسيُّ لكثيرٍ من رؤى التّوجّه النّصّيّ، لأنّ مستوى الجملة هو الأساس المكوِّن للبنية النّصّيّة الكلّيّة.

فما نحوُ النّصّ بما قدّمه من أدوات منهجيّة تحليليّة جديدة إلّا رقيٌّ بنحو الجملة الذي يُشبه -ببيانه العلاقاتِ النّحويّةَ والدّلاليّة بين كلمات الجملة- نحوَ النّصّ ببيانه العلاقات ذاتها بين جمل النّصّ، فهو إذن مقدّمة لنحو النّصّ. وبيانُ علاقات العناصر اللّغويّة قاسمٌ مشترك بينهما، ونحوُ النّصّ يوظّف كثيرًا من أدوات نحو الجملة من مثل أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والضّمائر، وغيرها من أدوات الرّبط بين الجمل(٢).

---

(١) ينظر: مفتاح، محمّد، ديناميّة النّصّ تنظير وإنجاز، المركز الثّقافيّ العربيّ، ١٩٨٧م، ص٣٠-٣١. ومصلوح، سعد، العربيّة من نحو الجملة إلى نحو النّصّ، الكتاب التّذكاري لقسم اللّغة العربيّة- جامعة الكويت، عبد السّلام هارون معلّمًا ومؤلّفًا ومحقّقًا (إعداد: وديعة طه النّجم وعبده بدوي)، ١٩٩٠م، ص٤١٣.

((٢ ينظر: بحيري، سعيد، علم لغة النّصّ نحو آفاق جديدة (مجموعة مقالات غربيّة مترجمة)، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، مقالة (علم لغة النّصّ: نحو آفاق جديدة؟) روبرت دي بوجراند، ص١٥-١٦. وعفيفي، نحو النّصّ، ص٦٧-٦٨.

ولعلّ توهّمَ التّناقضِ بين النحويْنِ يعود إلىٰ الانفصال التّاريخيّ الذي حدث بين علمَي النحو والبلاغة، ففي التّراث العربيّ -مثلاً- كان درسُ النّحو ابتداءً يجمع بين قوانينِ التّراكيب اللّغويّة (علم النّحو) وأسرارِها (علم المعاني) والسّياقاتِ غيرِ اللّغويّة (المقام) والجوانبِ النّفسيّة واتّفاق طرفَي التّواصل المرسِل والمستقبِل[١]، وكلُّها تقنيات نصّيّة.

ولستُ أتّفق مع مَن يُشكّك أو يقلّل من قيمة ما قدّمه الدّرسُ اللّغويّ العربيّ القديم من الرّؤىٰ اللّسانيّة والمعطيات ذات الصّلة بهذا الموضوع، بدعوىٰ أنّه نظرات جزئيّة ناقصة لا ترقىٰ لوصف النّظام اللّغويّ الكلّيّة[٢]. وأضرب علىٰ ذلك المثالين التّاليين تدليلاً علىٰ نصّيّة النّحو القديم وقصور نظر مدّعي زيفه:

الأوّل: تناولُ سيبويهِ (ت١٨٠هـ) في غيرِ موضعٍ من كتابه مسألةَ (الحذف) -وهي من موضوعات نحو النّصّ- ودورَ المقام في الدّلالة علىٰ ما حُذِف، في معالجته ما نُقل عن العرب من شواهد الأمثال التي طالها الحذفُ، من مثل: "اللّهمّ ضبُعًا وذئبًا"، و"الظّباءَ علىٰ البقر"، وغيرهما من الشّواهد التي لها سياقُ حكايات، فقيلت تلك الشّواهدُ علىٰ أثرها، فيُعرفُ المحذوفُ اعتمادًا علىٰ السّياق المقاميّ؛ وهذا الرّبط بين الشّاهد وحكايته ربطٌ نصّيٌّ[٣].

---

(١) ينظر: الموسىٰ، نهاد، نظريّة النّحو العربيّ في ضوء مناهج النّظر اللّغويّ الحديث، دار البشير، الأردن، ط٢، ١٩٨٧م، ص٩٧-١٠٧؛ فقد تحدّث في هذا الموضوع مفصِّلاً ومحلِّلاً تحت عنوان "البعد الخارجيّ في التّحليل النّحويّ عند سيبويه".

(٢) ومن هؤلاء المشكِّكين المقلِّلين: الفهريّ، عبد القادر، اللّسانيّات واللّغة العربيّة نماذج تركيبيّة ودلاليّة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، ط٣، ١٩٩٣م، ص٥٤.

(٣) ينظر: سيبويه، الكتاب، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ج١، ص٢٥٥-٢٥٦.

الثّاني: اعتمادُ ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) علىٰ المقام والجانب النّفسيّ واتّفاق المرسل والمستقبل، في معالجته مسألة التّحذير والإغراء النّحويّة، علىٰ النحو الآتي:

- يقول: "تقول إذا كنت تحذّر: إيّاك، ومثله أن تقول: نفسَك، وهو منصوب بفعل مضمر، كأنّك قلت: إيّاك باعِدْ، وإيّاك نحّ واتّقِ نفسك؛ فحُذِفَ الفعل واكتفي بـ(إيّاك) عنه، وكذلك (نفسك)، لدلالة الحال عليه وظهورِ معناه، وكثر ذلك محذوفًا حتّىٰ لزم الحذف، وصار ظهورُ العامل من الأصول المرفوضة"[(١)]. ففي كلامه هذا علاقةٌ نصّيّةٌ بين (إيّاك) وسياق المقام، فكأنّك أمام متواليةٍ من الأحداث المرتبطة بسياقاتٍ اجتماعيّة وثقافيّة وغيرها بين المرسل والمستقبل.

- ويقول أيضًا: "وقالوا: إيّاي والشّرّ، وليس الخطاب لنفسه ولا يأمرها، وإنّما يخاطب رجلاً يقول له: إيّاي باعدْ عن الشّرّ، ويوقع الفعل المقدَّر عليه، فيجيء بالواو ليجمع بينهما في عمل الفعل، إذ كان الفعل عاملاً في الأوّل"[(٢)]، ومعالجتُه النّحويّة هنا أيضًا معالجةٌ نصّيّةٌ تتّكئ علىٰ سياقاتٍ غير لغويّة كما هو واضح. وهذه الإشارات، وغيرها كثير، تدلّل علىٰ عمق النّظر اللّغويّ النّصّيّ في التّراث النّحويّ القديم[(٣)].

---

(١) ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن عليّ (ت٦٤٣هـ)، شرح المفصّل لابن يعيش، قدّم له: إميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ج١، ص٣٨٩.

(٢) ذاته، ص٣٩١.

(٣) وللمزيد حول هذا الموضوع ينظر: البديرات، باسم يونس، ملامح التّفكير الألسنيّ الحديث في مقولات النّحو العربيّ، بحث منشور في: مجلّة مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ، ع (٩٨)، أيلول ٢٠١٩م، ص٢٩٣ وما بعدها، والمحور الثّامن "نحو النّصّ" خاصّةً: ص٣٣٥-٣٤١. وما النّصّيّة إلّا من نتاج ما قدّمته الألسنيّة ومناهج التّحليل اللّغويّ الأخرىٰ.

لكنْ. ثمّ استقلّ كلٌّ منهما -علم النّحو وعلم البلاغة- في التّأليف لأغراض تعليميّة، فظهر ما يُسمّىٰ بعلم النّحو التّقعيديّ (نحو الجملة) الذي يُعنىٰ بحركات أواخر الكلام إعرابًا وبناءً دون البحث في بلاغةِ التّركيب وأثرِه في السّامع، الموضوعينِ الأساسيّينِ في علم البلاغة، واستقلّت مباحث البلاغةِ في التّأليف وحدها (علم المعاني وعلم البيان والبديع)، فَتُوُهِّمَ التّباينُ والانفصال. فالتّوجّهُ إلىٰ (نحو النّصّ) إعادةٌ للُّحمة بين العِلميْن.

المبحث الثاني: أثر نحو النّصّ في تطوير نحو الجملة

خلصنا مما سبق إلىٰ أنّ نحو النّصّ ينطلق من منتهيات نحو الجملة[١] ويوظّف أدوات البلاغة والنقد. ومن المفيد بل من الملحّ أن نوظّفه لإعادة النّظر في كثيرٍ من موروثات نحونا القديم للارتقاء بها. ولتوضيح ذلك أناقش مسائل من نحونا القديم، فتتبعُها كلها أمر لا يسعه هذا البحث. إحداها تتعلق بالجملة الاسمية وبالمرفوعات، وهي مسألة الابتداء بالنّكرة. وأخرىٰ تتعلق بالجملة الفعلية وبالمنصوبات، وهي إعراب المفعول لأجله والحال. وثالثة تتعلق بالأدوات، وهي مسألة اقتران (أنْ) في خبر أفعال الرجاء.

مسألة الابتداء بالنكرة

أوْجبَ كثيرٌ مِنَ النّحاة القدماء أن يكون المبتدأ في الجملة الاسميّة معرفةً، ولمّا واجهوا مبتدآتٍ نكراتٍ في نصوص الكلام العربيّ شرعوا يبحثون عن مسوِّغاتٍ شكليّةٍ لا تتجاوز معطيات الجملة وقوانين صنْعَتها غالبًا: ففي نحو قوله تعالىٰ ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٢١]، سوّغوا الابتداء إمّا بالبدء بـ(لام الابتداء)، وإمّا بوصف المبتدأ. وفي نحو قوله تعالىٰ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الجن:١٠].سوّغوها بسبقها بأداة استفهام...إلخ ممّا هو مشهورٌ مبثوث في كتب النّحو

(١) ينظر: دايك، فان، النّصّ والسّياق، ص٢٢. وعليّان، يوسف، النّحو العربيّ بين نحو الجملة ونحو النّصّ مثلٌ من كتاب سيبويه، بحث منشور في المجلّة الأردنيّة في اللّغة العربيّة وآدابها، مج (٧)، ع (١)، ٢٠١١م، ص١٩١.

القديمة، وذلك لتقريب النكرة من المعرفة ليكون الابتداء بها مفيدًا من وجهة نظرهم(١).

وقد نافت هذه المسوّغاتُ عن الخمسين وأفردها بعضهم بمصنَّفاتٍ خاصّة(٢)! يُطالبُ الطُّلّابُ بِحِفظِها من دون أن يُلتَفَتَ إلىٰ بلاغةِ استعمالِ النكرةِ مبتدأً؛ أيْ دون ربطها بمسألة التّأثير في المخاطَب وقصد المتكلّم والسّياق النّصّيّ (وهي مسائل البلاغة ونحو النّصّ)، فقد تكونُ النكرةُ مبتدأً أبلغَ منها معرفةً في بعضِ الأحيان، وبيان ذلك الآتي:

ففي حديث المسوِّغينَ عن المبتدأ النّكرة في قوله تعالىٰ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾ [سورة المطففين:١]، وأمثالِه من نحو ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [سورة الرعد:٢٤]. سوّغوا تنكير المبتدأ بكونه دعاءً؛ قال ابنُ الحاجب (ت٦٤٦هـ): "إنه مختصٌّ بنسبته إلىٰ المتكلّم؛ لأنّ أصله: سلّمْتُ أو أسلِّم سلامًا، بالنّصب، ثمّ حُوِّل إلىٰ الرّفع لقصد الاستمرار؛ أي: سلامي عليك"(٣)؛ لكنّ الرضيّ اعترض عليه بـ"أنه لا يطرد في جميع الدعاء، نحو: ويلٌ لك، إذ ليس المراد: ويلي لك، ولا ويلُك

(١) ينظر: حريز، نبيل، الابتداء بالنّكرة عند ابن مالك وشرّاح ألفيّته، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلاميّة، ٢٠١٦م، ص٤٣-٨٤؛ فقد نوقشتْ فيها مسوّغاتُهم: السّابقةُ للمبتدأ النكرة واللّاحقة والتي تكون في ذات الكلمة؛ معزوّةً إلىٰ مظانّها.

(٢) ومنهم العُنّابي الذي ألّف كتاب "التّذكرة في تسويغ الابتداء بالنّكرة": ذكر اثنين وأربعين مسوِّغًا مع شواهدها، بما لا يخرج عن حدود نحو الجملة غالبًا.

(٣) ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر(ت٦٤٦هـ)، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان، دار الجيل، بيروت، لبنان، مج٢، ص٥٧٧.

لك، بل المراد: مطلق الهلاك لك. فالأَوْلىٰ أن يُقال: تنكيرُه لرعاية أصله حين كان مصدرًا منصوبًا، ولا تخصيصَ فيه؛ إذ تخصيصُه بالنظر إلىٰ المخاطب إنما كان بذكر الفعل الناصب له" ثم قال: "ينبغي أن الأصل: سلّمك اللهُ سلامًا، بمعنىٰ: جعلك سالمًا، فهو مخصّص بالنسبة إلىٰ الله"(١).

من الواضح أنهم شغلوا أنفسهم كثيرًا بمسائل الصّنعة النّحويّة. لكنْ، ثمّة ملمحٌ اعتمدَ القصد البلاغي التّأثيريّ، فكلمة (ويل) معناها العذاب، أمّا الحديث الذي يدلّ علىٰ أنّ الويلَ وادٍ في جهنم فسندُه ضعيفٌ عند المُحدِّثين، وحَكَم آخرون بغرابته(٢). وابنُ عباس -رضي الله عنهما- قال بأنّ (ويل) معناها العذاب(٣). فهل ثمّة فرقٌ بين: (الويلُ للمطففين) و(ويلٌ للمطففين)؟

أجابَ تمّام حسّان بأن مجيئها نكرةً يختلف عن مجيئها مُعَرَّفة بـ(أل)، فلو قال القرآن: (الويل للمطفّفين) لخفّف عنهم نوعَ ووقْعَ العذاب الذي يلاقونه، فـ(ويل) النكرة تدلّ علىٰ أن هناك أنواعًا عدة من العذاب محتملةً، وكلُّها تقع تحت الاحتمال،

(١) الرّضيّ، شرح الكافية، مج١، ص٢٣٥- ٢٣٦. (بتصرّف)

(٢) ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، (د.ت)، (د.ط)، ص٣٢٤.

(٣) ينظر: الطّبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق: محمود شاكر، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط١، مج١، ص٤٣٥.

فيكون بذلك وقعُها أشدّ علىٰ المخاطَب، أمّا إذا قيل: (الويل) فهو نوع محدد من العذاب(١).

وفي مثل هذا يقول ابن الأنباريّ (ت٥٧٧هـ): "والشّيءُ إذا كان مبهمًا كان أعظمَ في النّفس؛ لاحتماله أمورًا كثيرة"(٢)؛ فلو افترضنا أنّ طفلاً ما فَعَلَ منكرًا فهدّده أبوه بعقابٍ عامّ غير محدّد. ففي هذه الحال سيتوقّعُ احتمالاتٍ عدّةً للعقاب؛ سيقول في نفسه: يا ترىٰ، ماذا سيفعل بي أبي؟!. فوقْعُ العقوبة غيرِ المحدَّدة علىٰ نفسه سيكون أشدّ. لكنْ لو حدّد أبوه العقاب لكان الوقعُ أخفَّ؛ فقد يرىٰ نفسه قادرًا علىٰ تحمّله فيرتكب الخطأ المنهيَّ عنه مطمئنَّ البال.

فالقرآنُ الكريم عمّم كلمة (ويل) لئلّا تُخَفّفَ العقوبة، ومَنْ يستمعُ إلىٰ "ويلٌ للمطففين" يراجعُ نفسه: أيّ لون من الويل سيقع عليَّ؟! فالملمحُ هنا ملمحٌ بلاغيّ بقصد التأثير والرّدع، ومن ثَمّ تقوم اللغةُ بوظيفة الإبلاغ، وقد يكون هذا بالنّكرة أكثرَ من المعرفة، وذلك حسب السّياق، وليست المسألة مسألة مسوّغات شكليّة(٣).

---

(١) ينظر: حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص٤٩٣. وينظر: حريز، نبيل، الابتداء بالنكرة بين مسوغات النحاة وبلاغة النص القرآني، مقال منشور في مجلة (العربية لساني)- مجمع اللغة العربية بالشارقة، السنة الثانية، ع (٤)، ٢٠٢٠م، ص٣٠.

(٢) ابن الأنباريّ، أبو البركات عبد الرّحمن بن محمّد (ت٥٧٧هـ)، أسرار العربيّة، تح: محمّد البيطار، مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، ١٩٥٧م، ص١١٢.

(٣) ينظر: حريز، نبيل، الابتداء بالنكرة بين مسوغات النحاة وبلاغة النص القرآني، مقالٌ في مجلة العربية لساني- مجمع اللغة العربية بالشارقة، السنة الثانية، ع٤، ٢٠٢٠م، ص٣٠-٣٣.

ومن الجدير بالذّكر هنا ما لفت إليه الشّاطبيُّ (ت٧٩٠هـ) في هذا الموضوع، فقد:

- جعل ضابطَ الابتداء بالنّكرة الأغراضَ والمقاصدَ الخاصّةَ بكلّ شخصٍ أو حسب الحال، فقد يكونُ المفيدُ لشخصٍ ما غيرَ مفيدٍ لآخر.

- وذَكَرَ أنّ حصرَ ما يَختلف بحسب الأشخاص والأحوال والمقاصد عسير.

- ولم يَقبلِ المسوّغاتِ إنْ كانتْ فاسدة المعنىٰ؛ ممثّلاً لذلك بجملة (هل امرأةٌ في الأرض؟) التي فيها مبتدأٌ نكرةٌ (امرأة) سُبِقَ بحرف استفهام، ورغم ذلك فهو غيرُ مقبول لأنّه لا يَستفهمُ عن ذلك من أحد، وذلك لضرورة العلم به، ومن ذلك أيضًا: (ما حمارٌ بمتكلّم) و(ما بحرٌ لنا) و(هل شخصٌ عاقل؟) و(شُربٌ للماء معمولٌ به)... فكلُّ ذلك عبءٌ في الكلام رغم الْتزامه بمسوّغات المسوِّغين.

- ورَفَضَ قاعدةَ المسوِّغين المفترَضة التي حصرت الابتداء بالنّكرة بحالاتٍ محدّدة.

- بلْ إنّه صرّح بأنّ المسوّغين توهّموا من كلام النحويّين المتقدّمين ما جعلهم يحصرون الفائدة في حالاتٍ محدودة[1]. وكذا الشّأن في كثيرٍ من مسائل النّحو القديم وقضاياه لو أعيد بدراستها النّظرُ فعولجتْ بتقنياتِ نحو النّصّ وتحليل الخطاب.

إعراب المفعول لأجله والحال

يمكن -بتوظيف تقنيات نحو النّصّ- الارتقاءُ بالإعرابِ أهمِّ ما يُعنىٰ به نحوُ الجملة، وحلُّ المشكلات التي تحول بين فهمه واستيعابه وبين دارسيه والمهتمّين به،

(١) ينظر: الشّاطبيّ، أبو إسحق إبراهيم بن موسىٰ (ت٧٩٠هـ)، المقاصد الشّافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: محمّد السّيّد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، مج٢، ص٩٣-٩٥.

ومن أهمّ تلك التّقنيات:

- أخذُ المعنىٰ النّصّيّ العامّ والمقاصدِ النّصّيّةِ الكلّيّةِ بعين الاعتبار في الإعرابِ وتحديدِ وظيفة الكلمة النّحويّة أو العنصر النّحويّ في الجملة.

- وعدمُ الاقتصار علىٰ نحو الإعراب الميكانيكيّ أسيرِ حدود الجملة النّحويّة وقوانين صنعتها الشّكليّة، لأنّ ارتباط الوظائف النّحويّة بالمعاني النّصّيّة العامّة والمقاصد النّصّيّة الكلّيّة يُرسّخها في الأذهان، ويُبرّئ نحوَ الجملة من مظنّة الجفاف والجمود اللّذينِ يَسِمُه بهما كثيرٌ، ويرتقي به نحو آفاقٍ أرحب[(١)].

ولتوضيح ذلك أضرب المثال الآتي المتعلّق بإعراب كلمتَيْ: (خوفًا) و(طمعًا) في قول الله تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة السجدة:١٦]."[(٢)]، إذ إنّ إعراب (خوفًا) وفق حدود الجملة وقوانين الصّنعة النّحويّة إمّا أنْ يكون:

- مفعولاً لأجله، علىٰ عدّ الخوف علّةً للفعل (يدعون)، لأنّه يجيب عن سؤال: لماذا يدعون ربّهم؟ فيكون -وفق هذا- الخوفُ من العذاب والطّمعُ بالثّواب هما غايةُ الدّعاء ومبتغاه، فضلاً عن كونه -أي الخوف- مصدرًا قلبيًّا منصوبًا، وبذلك تنطبق عليه الشّروطُ النّحويّةُ المقرّرةُ في حَدِّ المفعول له وفق قوانين نحو الجملة[(٣)].

---

(١) ينظر: عبابنة، جعفر، بين منهجين في النّحو، بحثٌ منشور في كتاب: "المؤتمر السّنويّ لعام ٢٠٢٠م لمجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ: قضايا النّحو العربيّ بين الثّوابت وضرورات التّجديد"، ٢٠٢١م، ص١٨٢-١٨٣ و١٩٠.

(٢) الآية (١٦)، سورة السّجدة.

(٣) ينظر: الفاكهيّ، عبد الله بن أحمد (ت٩٧٢هـ)، شرح كتاب الحدود في النّحو، تح: المتولّي الدّميريّ، دار التّضامن للطّباعة، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢١٦.

– أو مصدرًا[١] نائبًا عن فعله المحذوف (مفعول مطلق)، علىٰ تقدير: يخافون خوفًا.

وهذان الإعرابانِ إعرابانِ نحويّانِ جُمْليّان ملتزمان بحدود الجملة الواحدة مبنًىٰ ومعنًىٰ، غيرُ صادرينِ من دلالة النّصّ الكلّيّ (القرآن الكريم) وتصوّراته الكبرىٰ حول طبيعة علاقة المؤمن بربّه، وهو النّصُّ الذي تُشكّل الآيةُ الواحدةُ فيه جزءًا لا يتجزّأ منه تأثّرًا وتأثيرًا، وفق رؤىٰ نحو النّصّ اللّسانيّة.

لكنّ الإعراب النّصّيّ يأبىٰ ذلك، لأنّ هذه الآية الكريمة –التي تعبّر عن أحوال عباد الله المؤمنين في علاقتهم بربّهم[٢]– جزءٌ من النّصّ القرآنيّ الكلّيّ الذي قدّم تصوّرًا لعلاقة المؤمن بربّه أرقىٰ من أن يكون مبتغاها الأعلىٰ أو غايتها العظمىٰ النّجاةَ من العذاب أو الطّمعَ بالثّواب حسبُ، بل هو الاستحقاق، فالمؤمنُ يعبد ربّه ويدعوه لأنّه يستحقّ العبادة لذاته أوّلاً، ثمّ يأتي الطّمع بالثّواب وخوفُ العقاب بعد ذلك، وأدلّةُ ذلك كثيرة، منها: قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ

(١) ينظر: النّحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد (ت٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلّق عليه: عبد المنعم إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ج٣، ص٢٠٢؛ يقول: "خَوْفًا مفعولٌ من أجله، ويجوز أن يكون مصدرًا. وَطَمَعًا مثله؛ أي خوفًا من العذاب وطمعًا في الثّواب".

(٢) فقد سبقها قوله تعالىٰ: "إنّما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكّروا بها خرّوا سجّدًا وسبّحوا بحمد ربّهم وهم لا يستكبرون (١٧) تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفًا وطمعًا وممّا رزقناهم ينفقون (١٦)".

ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [سورة التوبة:٧٢]."[١]؛ أي: رضوان الله تعالىٰ أعظم ممّا هم فيه من نعيم الجنّة وثوابها[٢].

- وحديثُ النّبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم: "إنّ الله يقول لأهْل الجنّة: يا أهل الجنّة، يقولون: لبّيْك ربّنا وسعديْكَ، فيقول: هل رضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضىٰ وقد أَعطيْتَنا ما لم تُعطِ أحدًا منْ خلْقك! فيقول: أنا أُعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربّ، وأيّ شيْءٍ أَفضَلُ من ذلك؟! فيقول: أُحِلّ عليكم رِضْواني فلا أَسخطُ عليكم بعدَه أبدًا"[٣].

وفي هذه الرّؤية الإيمانيّة يقول الشيخ الشّعراويّ (ت١٤١٨هـ): "وأهل المعرفة يرون فرقًا بين مَن يرجو الثّواب ويرجو رحمة الله، ومن يرجو لقاء الله لذات اللّقاء، لا خوفًا من نار، ولا طمعًا في جنة...يقول تعالىٰ في سورة الكهف: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ [سورة الكهف:١١٠]، ولو كانتِ الجنّة لأنّ لقاء الله أعظم، وهو الذي يُرْجىٰ لِذَاته"[٤]. وقد روىٰ البيهقيّ

---

(١) الآية (٧٢)، سورة التّوبة.

(٢) ذهب إلىٰ ذلك غيرُ مفسّر؛ ينظر علىٰ سبيل المثال: السّمرقنديّ، أبو اللّيث نصر بن محمّد (ت٣٧٥هـ)، تفسير السّمرقنديّ المسمّىٰ بحر العلوم، تح: عليّ معوّض وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج٢، ص٦١. والشّوكانيّ، محمّد بن عليّ (ت١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير، ضبطه وصحّحه: أحمد عبد السّلام، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ج٢، ص٤٨٧.

(٣) عبد الباقي، محمّد فؤاد (ت١٣٨٨هـ)، اللّؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشّيخان، دار إحياء الكتب العربيّة، (د. ط)، (د. ت)، ص٢٨٧.

(٤) الشّعراويّ، محمّد متولي (ت١٤١٨هـ)، تفسير الشّعراويّ، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ج١٨، ص١١٠٦٧. وينظر: الحنبليّ، عبد الرّحمن بن أحمد بن رجب (ت٧٩٥هـ)، مجموع

(ت٤٥٨هـ) عن أحد هؤلاء العارفين قولَه: "اللّهُمّ إنْ كنتَ تَعلمُ أنّي أعبدكَ خوفًا من نارِكَ فعذّبْني بها، وإنْ كنتَ تعلمُ أنّي أعْبدُكَ حُبًّا منّي لجَنّتكَ وشَوْقًا إليها فاحرمْنيها، وإنْ كنتَ تَعلم أنّي إنّما أعبدكَ حُبًّا منّي وَشَوْقًا إلىٰ وَجْهِكَ الكريم فأَبِحْنِيهِ مَرّةً، وَاصنعْ ما شئْتَ"(١).

وبناءً علىٰ ما سبق، فإنّ هذا التّصوّر الإيمانيّ الصّادر من كلّيّة النّصّ القرآني ينبغي إسقاطُه علىٰ إعراب كلمة (خوفًا) في الآية الكريمة، وممّن ذهب إلىٰ ذلك الإمامُ الرّازيّ (ت٦٠٦هـ) حيث يقول: "وقولُه: (خوفًا وطمعًا) يَحْتَمِلُ أَنْ يكونَ مفعولاً له، ويحتمل أَنْ يكونَ حالاً، أي خائفين طامعين؛ كقولكَ: جاءوني زُوَّرًا أَيْ زائرين، وكأنّ في الآية الأُولىٰ إشارةً إلىٰ المَرتبة العالية وهي العبادةُ لوجه اللّه تعالىٰ، مع الذّهولِ عن الخوْف والطّمع، بدليل قوله تعالىٰ: (إذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا) فإنّه يدُلّ علىٰ أنّ عند مُجَرَّدِ الذّكْر يُوجَدُ منهم السّجود وإِن لم يكنْ خوفٌ وطَمَع. وفي الآية الثّانية إشارة إلىٰ

رسائل الحافظ ابن رجب الحنبليّ، تح: طلعت الحلواني، الفاروق الحديثة للطّباعة والنّشر، ٢٠٠٣م، ج٣، ص٣٧٣؛ وممّا قاله: "وممّا يخافه العارفون فواتُ الرّضا عنهم، وإنْ وُجد العفوُ وترك العقوبة، فإنّ الرّضا أحبُّ إليهم من نعيم الجنّة كلّه..".

(١) البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، تح: عبد العلي حامد، مكتبة الرّشد للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط١، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٢٣، رقم (٤٢٧). وذكرها أيضًا: ابن الملقّن، أبو حفص عمر بن عليّ (ت٨٠٤هـ)، طبقات الأولياء، تح: نور الدّين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص٣٤٢.

المرتبتين الأخيرتين وهي العبادة خوفًا كمن يخدم الملك الجبّار مخافة سطوته أو يخدم الملك الجواد طمعًا في برّه"[١].

فقد صدر الرّازيُّ في تناوله إعراب الكلمة في الآية من ربْطها بمعنىٰ الآية التي تسبقها (أي: من التّرابط النّصّيّ) وهي: "إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" وفق التّصوّر الإيمانيّ العامّ لطبيعة علاقة المؤمن بربّه.

وبناءً علىٰ ذلك، يكون الإعرابُ النّصّيُّ لكلمة (خوفًا) في الآية الكريمة وفق هذا التّصوّر الإيمانيّ الصّادر من كلّيّة النّصّ: حالاً منصوبًا، لا مفعولاً له[٢]، أي: لشدّة حبّ المؤمنين لله تعالىٰ وتعلّقهم به وعشقهم لذَاته (العشق الإلهي) يدعونه في كلّ أحوالهم؛ في حال الخوف وفي حال الطّمع، سيّان، لا خوفًا أو طمعًا بوصفهما المقصود الأساس من الدّعاء والعبادة، بل حبًّا لذات الله العليّة، وهذا لا يتعارض مع مَن ذهب إلىٰ اعتبارهما مرتبتين من لوازم الإيمان للأدلّة الدّالّة علىٰ ذلك[٣]، ولكنّهما

---

(١) الرّازيّ، أبو عبد الله فخر الدّين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، مج (١٣)، ص١٥٧.

(٢) ذكر العكبريّ هذا الإعراب احتمالاً ثانيًا مع (المفعول له)، لكنْ دون ترجيحٍ لأحدهما أو ربطٍ بالمعنىٰ النّصّيّ الكلّيّ؛ ينظر: العكبريّ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ)، التّبيان في إعراب القرآن، تح: علي البجاوي، عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، عدد الأجزاء: جزءان (في ترقيم مسلسل واحد)، ج٢، ص١٠٤٩.

(٣) كقوله تعالىٰ: "ولمن خاف مقام ربّه جنّتان"، وقوله: "إذا ذكر الله وجلت قلوبهم"...إلخ. ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ)، كتاب الإيمان، خرّج أحاديثه: محمّد ناصر الدّين الألبانيّ، المكتب الإسلاميّ، ط٥، ١٩٩٦م، بيروت- دمشق- عمّان، ص١٩-٢٠.

دون المرتبة الإيمانيّة العليا (حبّ الله لذاته). وعلىٰ هذا النّحو من النّظر النّصّيّ في الإعراب:

- تتوسّع دائرة الفهم والتّأويل عند دارسي النّحو والإعراب.

- ويرقىٰ الدّرس النّحويّ بتجاوزه حدود الجملة إلىٰ رحاب النّصّ الأوسع، وبصدوره من رؤيةٍ نصّيّةٍ ذهنيّةٍ فكريّة، فالاستعمالُ النّحويُّ يستدعي صورة ذهنيّة سابقة لأنّ الألفاظ "وُضعت للدّلالة علىٰ المعاني الذّهنيّة"[١] فيكون تركيبُها وفق قواعد النّحو خادمًا تلك المعانيَ وعاكسَها، وإنّ فصل التّراكيب عن الدّلالة والمقام يؤدّي إلىٰ عدم قدرة الدّارس علىٰ فهم اللّغة[٢]؛ لأنّ التّأويل والتّصوّر جزءٌ من وصف نظام اللّغة وفق بعض النّظريّات اللّغويّة[٣].

مسألة اقتران (أنْ) في خبر أفعال الرجاء

من مفرزات نحو النص أنّ التّركيب يعكس الحالة النّفسيّة الخاصة التي تؤدي دورًا مُهمًّا في تحليل النّصوص، لأنّه ناجمٌ عن حالة المتكلم النّفسيّة فيطوّع الوحدات اللّغويّة البنيويّة والتّركيبيّة لتخدم قضيّته فـ"يفتنّ، فيختصر تارةً إرادةَ التّخفيف، ويطيل تارةً إرادةَ الإفهام...وتكون عنايته بالكلام علىٰ حسب الحال"[٤].

((١ الرّازيّ، فخر الدّين أبو عبد الله محمّد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، المحصول في علم الأصول، دراسة وتحقيق: طه العلواني، مؤسّسة الرّسالة، ط٣، ١٩٩٧م، ص٢٠٠.

(٢) ينظر: استيتية، سمير شريف، اللّسانيّات المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع- جدارا للكتاب العالميّ، إربد، ط٢، ٢٠٠٨م، ص١٦٩.

(٣) ينظر: ذاته، ص١٥٩.

(٤) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، تح: السّيّد أحمد صقر، مكتبة دار التّراث، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م، ص١٣.

فما يُعْرَضُ في النّصّ ينبع من القائل وتصوّره وإدراكه ووعيه[١]، الأمرُ الذي يُلزِمنا أن نكون واعينَ بكلّ ما قد يُعَدُّ مدخلاً لقراءة النّصّ من العناصر غير اللّغويّة، انطلاقًا من كونه تجربةً نصّيّةً تواصليّةً خاصّةً متفاعلةً مع محيطها النّفسيّ والاجتماعيّ الذي يُطوّق المتكلّم والمتلقّي[٢].

ولعلّ المثال التّالي يوضّح هذه المسألة (فيما يتعلّق بأثر الجانب النّفسيّ في بنية النّصّ): مِن المعلوم أنّ أداة الرّجاء (عسىٰ) في العربيّة يَغْلُبُ استعمالُ (أنْ) كثيرًا مقترنةً مع خبرها حسب قواعد النّحو العربيّ المقرّرة في باب أفعال المقاربة، نحو قوله تعالىٰ: "عسىٰ ربّكم أنْ يرحمكم" (سورة الإسراء: ٨)، لكنّها جاءتْ غيرَ مقترنةٍ بها في بعض الشّواهد، كقول الشّاعر هُدْبة بن خشرم العذريّ (ت نحو ٥٠هـ):

عَسَىٰ الكَرْبُ الذي أَمْسَيْتُ فيه ... يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ[٣]

وانطلاقًا من كون النص المنجَز موقفًا تفاعليًّا اتّصاليًّا سياقيًّا، وكون السّياق البيئةَالمحيطة بالنّصّ ويُعدُّ نصًّا آخَرَ مُصاحِبًا للنّصّ الظّاهر ممثِّلاً لبيئة لغة النّصّ الخارجيّة، مؤثِّرًا في سيرورة مكوّناته الدّاخليّة، لأنّه الظّروف التي نشأ تحتَ تأثيرها

(١) ينظر: جحفة، عبد الحميد، مدخل إلىٰ الدّلالة الحديثة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٠٠.

(٢) ينظر: لاينز، جون، اللّغة والمعنىٰ والسّياق، تر: عبّاس الوهّاب، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، وزارة الثّقافة والإعلام، ط١، ١٩٨٧م، ص٢١٥. وعبد المجيد، جميل، بلاغة النّصّ مدخل نظريّ ودراسة تطبيقيّة، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٠-٣١.

(٣) ابن الخشرم، هدبة (ت نحو ٥٠هـ)، شعر هدبة بن الخشرم العذريّ، تح: يحيىٰ الجبوري، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٥٩. وهذا البيت من شواهد النّحاة في باب أفعال المقاربة.

الكلامُ وسار وفقَها[١]، لمقاصدَ معيّنة، فإنّ ما يحتويه من علاماتٍ (ألفاظٍ) يُدْرَسُ من حيثُ: ماهيّتُه، وطبيعتُه، وكيفيّةُ توظيفه لخدمة قضيّة النّصّ، وعلاقاتُه بغيره من العلامات الأخرىٰ السّياقيّةِ: السّابقةِ، واللّاحقة، المشابهة له، والمختلفة عنه[٢].

وتتنوّع السّياقات النّصّيّة بتعدّد المواقف الاتّصاليّة عند مستعملي اللّغة، ومن أبرزها الظّروف والملابسات التي تؤثّر في إنتاج النّصّ.

وبالنّظر إلىٰ الظّروف النّفسيّة التي قيل في أجوائها هذا البيت، نجد أنّ هدبةَ قاله وهو سجين! والسّجينُ لا يشغله شيءٌ كانتظار الفرَج، لذا لم يَستعملْ (أنْ) التي تفصل بين الرّجاء بـ(عسىٰ) وخبرها (يكون وراءه فرج قريب) وتُخْلِصُ الفعل للمستقبل وهو عَجِلٌ لا يبغي إلّا الفرج، ولا سيّما أنّه نعت الفرج المرجوّ بـ(قريب)، فلا يستقيم أن يستعمل (أنْ) المُبعِدة مع مرادٍ قريب! فليستِ المسألةُ مسألةَ اتّصالِ خبرِ عسىٰ بـ(أن) أو عدمه. ومثلُ ذلك في قولِ آخَر:

كَـرَبَ القلـبُ مِـن جـواه يـذوبُ حـينَ قـال الوشـاةُ هنـدٌ غضـوبُ[٣]

فليس عدمُ مجيء خبر (كرب) مقترنًا بـ(أن) لأنّه علىٰ الأكثر أو حسب القاعدة المطّردة علىٰ الأرجح، أو العكس، بل –كما هو واضح من البيت– لفرط ما أصاب

(١) ينظر: دي بوجراند، النّصّ والخطاب والإجراء، ص٩١-٩٣. وأبو زنيد، نحو النّصّ، ص١٩٠.

(٢) ينظر: قاسم، سيزا، وأبو زيد، نصر حامد، أنظمة العلامات في اللّغة والأدب والثّقافة (مقالات مترجمة ودراسات)، دار الياس العصريّة، القاهرة، ص١٩. وإبراهيم، عبد الله وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلىٰ المناهج النّقديّة الحديثة، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦م، ص١٠٢.

(٣) وهو من شواهد النّحاة في باب أفعال المقاربة؛ ينظر علىٰ سبيل المثال: ابن هشام، أبو محمّد عبد الله بن يوسف (ت٧٦١هـ)، تخليص الشّواهد وتلخيص الفوائد، تح: عبّاس الصّالحي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص٣٣٠.

قلبَه لمّا بلغتْه مقالةُ الوشاة بشأن غضب حبيبته هند، فلم يستعمل (أنْ) التي تبعد زمن الخبر (يذوب) لأنّ الذّوبان واقعٌ في الحال حسب الظّرف النّفسيّ الطّارئ علىٰ الشّاعر. وهذا أولىٰ من أن نتعامل مع هذه الشّواهد وأمثالها -ممّا يمكن وسمُه بالأنماط المتمرّدة علىٰ القواعد المطّردة- علىٰ أنّه من الشّذوذ أو القليل أو النّادر أو الضّرورات الشّعريّة...كما يفعلُ الكثيرُ من النّحاة[1] ونكتفيَ بذلك فقط، بل نوظّف تقنيّات نحو النّصّ ونظريّات اللّغة التي تُخرجها -أي اللّغة- من سجن قوانين الصّنعة النّحويّة التّركيبيّة الشّكليّة، ونخرج نحونا من وهم الجمود والقوالب الجافّة.

(١) ينظر علىٰ سبيل المثال: الفارسيّ، أبو عليّ (ت٣٧٧هـ)، الإيضاح العضديّ، تح: حسن شاذلي فرهود، كلّيّة الآداب، جامعة الرّياض، ط١، ١٩٦٩م، ج١، ص٧٨-٨٠. والجَوجَريّ، شمس الدّين محمّد بن عبد المنعم (ت٨٨٩هـ)، شرح شذور الذهب، تح: نوّاف بن جزاء الحارثيّ، عمادة البحث العلميّ بالجامعة الإسلاميّة- رقم (٥٦)، المدينة المنوّرة، ط١، ٢٠٠٤م، ج١، ص٤٩٩. والأشمونيّ، أبو الحسن عليّ بن محمّد (ت٩٠٠هـ)، شرح الأشمونيّ علىٰ ألفيّة ابن مالك، دار الكتب العلميّة بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٧٥.

الخاتمة والنتائج

بعد تعريج هذا البحث في تمهيده علىٰ مفهوم النّصّ في الثّقافة الغربيّة عند أشهر المدارس اللّسانيّة والإشارة المقتضبة علىٰ مفهومه في الثّقافة العربيّة عند أبرز الأدباءِ والمفسرين، وتناولِ المبحث الأول نحو النّصّ من حيث المفهوم والمهمات وعلاقته بنحو الجملة، وتناول المبحث الثاني أثر مقولات نحو النص وأدواته في تطوير نحو الجملة من خلال عرض وتحليل ومناقشة نماذج محدَّدة –يمكن إيجاز ما خلص البحث إليه من النتائج فيما يأتي:

– تعدّدت رؤىٰ المدارس اللسانية الغربيّة المعاصرة حول مفهوم النّصّ، كلٌّ منها يصدر من رؤيةٍ فلسفيّةٍ وثقافيّةٍ مختلفةٍ عن الأخرىٰ. ولا تعريفَ جامعًا مانعًا للنّصّ متّفقًا عليه. ولذا؛ فإنّ تبنّيَ مفهومٍ للنّصّ من جملة المقاربات المُقدَّمة له، هو الأقربُ إلىٰ طبيعة اللّغة بوصفها ظاهرةً إنسانيّةً شديدةَ التّعقيد ذات علائقَ بمؤثّراتٍ كثيرة، فكلُّ تعريفٍ قُدِّمَ حوىٰ حقًّا نسبيًّا لأنّه تناول جانبًا من الجوانب المؤثّرة في النّصّ المسهمة في تكوينه وسيرورته وتفاعلاته.

– يجمع نحوُ النّصّ بين الاعتبارات اللّفظيّة والتّركيبيّة والسّياقيّة المقاميّة وظروف التّلقّي ومقتضىٰ الحال، انطلاقًا من رؤية النّصّ علىٰ أنّه نظامٌ كلّيّ وحدويّ تواصليّ متعالقةٌ عناصرُه اللّغويّة الدّاخليّة مع سياقه الواقعيّ الذي أُنجز فيه. وهو قراءةٌ تأويليّةٌ للنّصّ. وتلك الجوانبُ والأنظارُ كلُّها التي سُمِّيتْ (نحو النص) والتي تبناها الغرب بصورةِ نظريات حديثة، حَرَصَ عليها اللغويون القدماء؛ ممتدةٌ جذورُها في تراثنا اللغوي العربي القديم.

- ليس نحو النص نظريّةً ناقضة أو ملغية لنحو الجملة، والعلاقةُ بينهما علاقة تكامل وتأثّر وتأثير، فنحوُ النّصّ يبدأ من حيث ينتهي نحوُ الجملة، ويمكن الإفادة من تقنياته في تطوير نحو الجملة والارتقاء به. وذلك بـــــ:

- اعتبار المعنىٰ النّصّيّ العامّ الكليّ الجامع ومقاصدِ النّصّ وظروف المتكلم وكافة عناصر الاتصال اللغوي، في الإعرابِ وتحديدِ وظيفة الكلمة في الجملة، ومعاملة الجملة معاملةً نصيةً اتصالية لا شكلية؛ إذ من شأن هذا أن يُبرّئ نحوَ الجملة من مظنّة الجفاف والجمود ويرتقي به نحو آفاقٍ أوسع وأرحب.

- عدمُ الاقتصار علىٰ الإعراب الآلي الشكلي أو الميكانيكي -إن جاز التعبير- المنغلق في حدود الجملة النّحويّة النظامية وقوانين صنعتها اللفظية، وتوسيع دائرة الإدراك والتّأويل عند طلاب علم النحو العربي.

- الصدور من رؤيةٍ فكريّة في التعامل مع قضايا النحو والإعراب والجملة في الدراسة والتدريس، فسلوكُ عناصر الجملة نحويًّا يصدر من فكرةٍ في الذهن أولاً لأنّ الألفاظ "وُضعت للدّلالة علىٰ المعاني الذّهنيّة" فيكون تركيبُها وفق قواعد النّحو خادمًا لتلك المعاني وعاكسَها. وإنّ عزل التّراكيب عن سياقها الدّلالي المقامي نتيجتُه عدمُ فهمِ الدّارسِ اللّغةَ.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبد الله وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلىٰ المناهج النّقديّة الحديثة، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦م.

- الأحمد، نهلة: التّفاعل النّصّيّ التّناصّ النّظريّة والمنهج، كتاب الرّياض، ع (١٠٤)، مؤسّسة اليمامة الصّحفيّة، يوليو ٢٠٠٢م.

- إدريس، سهيل، وعبد النّور، جبّور، المنهل قاموس فرنسي- عربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٨٣م.

- إستيتية، سمير شريف، اللّسانيّات المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع- جدارا للكتاب العالميّ، إربد، ط٢، ٢٠٠٨م.

- الأشمونيّ، أبو الحسن عليّ بن محمّد (ت٩٠٠هـ)، شرح الأشمونيّ علىٰ ألفيّة ابن مالك، دار الكتب العلميّة بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، (د.ت)، (د.ط).

- ابن الأنباريّ، أبو البركات عبد الرّحمن بن محمّد (ت٥٧٧هـ)، أسرار العربيّة، تح: محمّد البيطار، مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، ١٩٥٧م.

- إيغلتون، تيري، نظريّة الأدب، تر: ثائر ذيب، دراسات نقدية عالميّة (٢٩)، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٥م.

- بحيري، سعيد، علم لغة النّصّ نحو آفاق جديدة (مجموعة مقالات غربيّة مترجمة)، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، مقالة (علم لغة النّصّ: نحو آفاق جديدة؟).

- بحيري، سعيد، علم لغة النّصّ: المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٧م.

- البديرات، باسم يونس، ملامح التّفكير الألسنيّ الحديث في مقولات النّحو العربيّ، بحث منشور في: مجلّة مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ، ع (٩٨)، أيلول ٢٠١٩م.

- بُشبندر، ديفيد، نظريّة الأدب المعاصر وقراءة الشّعر، تر: عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مكتبة الأسرة- القراءة للجميع، القاهرة.

- البعلبكي، رمزي منير، المورد الحديث قاموس إنكليزي- عربي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان.

- البقاعي، محمد خير، دراسات في النّصّ والتّناصّيّة (ترجمة وتعليق)، مركز الإنماء الحضاريّ، حلب، ط١، ١٩٩٨.

- بلعفير، محمّد، البنيويّة النّشأة والمفهوم عرضٌ ونقد، بحثٌ منشور في مجلّة الأندلس للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ع (١٥)، مج (١٦)، ٢٠١٧م.

- البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، تح: عبد العلي حامد، مكتبة الرّشد للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط١، ٢٠٠٣م.

- تشاندلر، دانيال، أسس السّيميائيّة، تر: طلال وهبه، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ)، كتاب الإيمان، خرّج أحاديثه: محمّد ناصر الدّين الألبانيّ، المكتب الإسلاميّ، ط٥، ١٩٩٦م، بيروت.

- ثامر، فاضل، اللّغة الثّانية في إشكاليّة المنهج والنّظريّة والمصطلح في الخطاب النّقديّ العربيّ الحديث، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، البيان والتّبيين، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م.

- جحفة، عبد الحميد، مدخل إلىٰ الدّلالة الحديثة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م.

- الجرجانيّ، عبد القاهر (ت٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع- مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.

- الجَوجَريّ، شمس الدّين محمّد بن عبد المنعم (ت٨٨٩هـ)، شرح شذور الذهب، تح: نوّاف بن جزاء الحارثيّ، عمادة البحث العلميّ بالجامعة الإسلاميّة- رقم (٥٦)، المدينة المنوّرة، ط١، ٢٠٠٤م.

- الحاجّ، عبد الرّحمن، الخطاب السّياسيّ في القرآن السّلطة والجماعة ومنظومة القيم، الشّبكة العربيّة للأبحاث والنّشر، بيروت، ط١.

- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر (ت٦٤٦هـ)، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- حريز، نبيل، الابتداء بالنّكرة عند ابن مالك وشرّاح ألفيّته، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلاميّة العالمية، الأردن، ٢٠١٦م.

- حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

- حمّودة، عبد العزيز، المرايا المحدّبة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع (٢٣٢)، ١٩٩٨م.

- الحنبليّ، عبد الرّحمن بن أحمد بن رجب (ت٧٩٥هـ)، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبليّ، تح: طلعت الحلواني، الفاروق الحديثة للطّباعة والنّشر، ٢٠٠٣م.

- ابن الخشرم، هدبة (ت نحو ٥٠هـ)، شعر هدبة بن الخشرم العذريّ، تح: يحيىٰ الجبوري، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٩٨٦م.

- دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء- المغرب، ط٢، ٢٠٠٠م.

- دوبيازي، مارك، نظريّة التّناصّيّة، تر: الرّحوتي عبد الرّحيم، مجلّة علامات، جدة- السّعوديّة، ١٩٩٦م، ج٢١، مج٦.

- دي سوسير، فردينان، علم اللّغة العامّ، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربيّة، بغداد، ١٩٨٥م.

- دي سوسير، فردينان، فصول في علم اللّغة العامّ، نقله إلىٰ العربية: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ١٩٨٥م.

- ابن ذريل، عدنان، النّصّ والأسلوبيّة بين النّظريّة والتّطبيق، من منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.

- الرّازيّ، أبو عبد الله فخر الدّين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

- الرّازيّ، فخر الدّين (ت٦٠٦هـ)، تفسير الفخر الرّازيّ، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

- الرّازيّ، فخر الدّين أبو عبد الله محمّد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، المحصول في علم الأصول، دراسة وتحقيق: طه العلواني، مؤسّسة الرّسالة، ط٣، ١٩٩٧م.

- الزّركشيّ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة- عيسىٰ البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٩٥٧م.

- الزّنّاد، الأزهر، نسيج النّصّ، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

- السّمرقنديّ، أبو اللّيث نصر بن محمّد (ت٣٧٥هـ)، تفسير السّمرقنديّ المسمّىٰ بحر العلوم، تح: عليّ معوّض وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

- السّيوطيّ، جلال الدّين، أسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر عطا ومرزوق إبراهيم، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع، القاهرة.

- الشّاطبيّ، أبو إسحق إبراهيم بن موسىٰ (ت٧٩٠هـ)، المقاصد الشّافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: محمّد السّيّد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

- الشّعراويّ، محمّد متولي (ت١٤١٨هـ)، تفسير الشّعراويّ، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

- الشّوكانيّ، محمّد بن عليّ (ت١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير، ضبطه وصحّحه: أحمد عبد السّلام، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

- الطّبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق: محمود شاكر، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط١.

- عبابنة، جعفر، بين منهجين في النّحو، بحثٌ منشور في كتاب: "المؤتمر السّنويّ لعام ٢٠٢٠م لمجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ: قضايا النّحو العربيّ بين الثّوابت وضرورات التّجديد"، ٢٠٢١م.

- عبد الباقي، محمّد فؤاد (ت١٣٨٨هـ)، اللّؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشّيخان، دار إحياء الكتب العربيّة، (د. ط)، (د. ت).

- عبد المجيد، جميل، بلاغة النّصّ مدخل نظريّ ودراسة تطبيقيّة، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م.

- العبد، محمّد، النّصّ والخطاب والاتّصال، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، ط١، ٢٠٠٥م.

- العزري، أحمد، تلقّي التّفكيكيّة في النّقد العربيّ الحداثيّ علي حرب أنموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١٢م.

- عفيفي، أحمد، نحو النّصّ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

- العكبريّ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ)، التّبيان في إعراب القرآن، تح: علي البجاوي، عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه.

- عليّان، يوسف، النّحو العربيّ بين نحو الجملة ونحو النّصّ مثلٌ من كتاب سيبويه، بحث منشور في المجلّة الأردنيّة في اللّغة العربيّة وآدابها، مج (٧)، ع (١)، ٢٠١١م.

- الفارسيّ، أبو عليّ (ت٣٧٧هـ)، الإيضاح العضديّ، تح: حسن شاذلي فرهود، كلّيّة الآداب، جامعة الرّياض، ط١، ١٩٦٩م.

- الفاكهيّ، عبد الله بن أحمد (ت٩٧٢هـ)، شرح كتاب الحدود في النّحو، تح: المتولّي الدّميريّ، دار التّضامن للطّباعة، القاهرة، ١٩٨٨م.

- فان دايك، تون، علم النّصّ مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط١، ٢٠٠١م.

- فضل، صلاح، مناهج النّقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

- قاسم، سيزا، وأبو زيد، نصر حامد، أنظمة العلامات في اللّغة والأدب والثّقافة (مقالات مترجمة ودراسات)، دار الياس العصريّة، القاهرة.

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، تح: السّيّد أحمد صقر، مكتبة دار التّراث، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

- لاينز، جون، اللّغة والمعنىٰ والسّياق، تر: عبّاس الوهّاب، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، وزارة الثّقافة والإعلام، ط١، ١٩٨٧م.

- مفتاح، محمّد، ديناميّة النّصّ تنظير وإنجاز، المركز الثّقافيّ العربيّ، ١٩٨٧م.

- ابن الملقّن، أبو حفص عمر بن عليّ (ت٨٠٤هـ)، طبقات الأولياء، تح: نور الدّين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

- الموسىٰ، نهاد، نظريّة النّحو العربيّ في ضوء مناهج النّظر اللّغويّ الحديث، دار البشير، الأردن، ط٢، ١٩٨٧م.

- مونان، جورج، علم اللّغة في القرن العشرين، تر: نجيب غزّاوي، وزارة التّعليم العالي، سوريا، د.ط، د.ت.

- ناصف، مصطفىٰ، اللّغة والتّفسير والتّواصل، عالم المعرفة (ع ١٩٣)، الكويت، ١٩٩٥م.

- النّحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد (ت٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلّق عليه: عبد المنعم إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

- نهر، هادي، علم اللّغة الاجتماعيّ عند العرب، الجامعة المستنصريّة، ط١، ١٩٨٨م.

- نيوتن، ك.م، نظريّة الأدب في القرن العشرين، تر: عيسىٰ علي العاكوب، عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، أساتس- الهرم، ط١، ١٩٩٦م.

- ابن هشام، أبو محمّد عبد الله بن يوسف (ت٧٦١هـ)، تخليص الشّواهد وتلخيص الفوائد، تح: عبّاس الصّالحي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

- ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن عليّ (ت٦٤٣هـ)، شرح المفصّل لابن يعيش، قدّم له: إميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- يقطين، سعيد، انفتاح النّصّ الرّوائيّ النّصّ والسّياق، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، الدّار البيضاء، ط١، ١٩٨٩.